من مطبوعات الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

كتاب التوحيد

تأليف الزعيم المصلح المجدد شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ

وكتاب القول السديد

في مقاصد التوحيد للعلامة الفاضل الشيخ
عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله
المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ

إهداء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



من مطبوعات الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

كتاب التوحيد

تأليف الزعيم المصلح المجدد شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
المتوفى سنة ١٢٠٦هـ

وكتاب القول السديد

في مقاصد التوحيد للعلامة الفاضل الشيخ
عبد الرحمن بن ناصر بن سعدى رحمه الله
المتوفى سنة ١٣٧٦هـ

توزيع وإهداء
الجامعة الاسلامية
بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ الطَّبعَةِ الأُولَى

الحمد لله ربِّ العالمين وصلاته وسلامه على خَير خلقه وعلى مَن اهتدى بهديه وجاهد في الله حق جهاده .

وبعدُ فإليك أيها القارئ هذين الكتابين لعالمين من كبار علماء الدعوة الإسلامية ، فأمَّا كتاب (التوحيد) فقد طُبِعَ طبعات كثيرة لا اتمكن من عدّهـا .

وَأَمَّا (القَولُ السَّدِيدُ) فقد طُبع بمفرده طبعتين . وحيث انه تعليق على الأوّل ولا غناءَ به عنه،رأيت فى هذه الطبعة الجمع بينهما مشاركةً فى خدمة الدين . والعقيدة الاسلامية ، ولما لمؤلفَيهما علـيَّ من الحق والبِرِّ وأتبعت كل باب من الأصل ما يتعلق به من التعليق .

والمؤلفان وان كانا غير متعاصرين فقد اتفقت أفكارهما واتحدت اهدافهما ودأَبا فى النشر والكتابة والدعوة الى الله طيلة حياتهما . وعَزَفَت نفساهما عن الدنيا وزخرفها ، رغبةً فى الآخرة والمثوبـة من الله وما عند الله خير وأبقـى .

والله المسؤول أن يجزيهما عن دينهما وأُمَّتِهما خيرَ الجزاء ، وان يوفقنا والمسلمين للاهتداء والسير على نهج الصالحين . انه خيـر مسؤول . وهو نعم المولى ونعم النصير .

فى ١٣٨٢/٤/٢٨ هـ

النـاشـر

على الحمد الصالحى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية والثالثة

الحمد لله الواحد الاحد . المنزَّه عن كل ما يشعر بالنقصان ، والصلاة والسلام على نبيه وحبيبه الذي نسخت شريعته جميع الأَديان ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان مدى الازمان .

وبعد فهذه اعادة لطبع كتابَي (التوحيد) : (والقول السديد) حيث قد نفدت الطبعة الأولى والثانية. ولحسن نِيَّةِ مؤلفيهما وجزالة ما اشتملا عليه من البحوث فقد قويت الطلبات عليهما مجتمعين ، ورغم انهما قد طبعا قبل جمعهما عدة طبعات باعداد ضخمة ، فلا تزال الرغبات تلح فى طلبهما من كافة البلدان الاسلامية .

ونرجو الله أن يوفق مَن شاء من خلقه لترجمتهما باللغات الحية فالحاجة بل الضرورة داعية الى ذلك .

والله نسأل أن ينصر الحق ودعاته ويخذل الباطل وحماته . وأن يهدينا صراطه المستقيم . ويجنبنا سبل الغواية ويعيذنا من الشيطان الرجيم ، وان يصلح منا ما فسد ، انه نعم المولى ونعم النصير . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الثانية فى ١٣٨٤/٨/١٠ والثالثة فى ١٣٩٠/٥/١

الناشر

على الحمد الصالحى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله . نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أَعمالنا ، مَن يهدِ الله فلا مضلَّ له . ومَن يضلل فلا هادي له . وأشهد أَن لا إله الا الله وحدَه لا شريك لـــه ، واشهد ان محمداً عبده ورسوله .

أَما بعدُ ؛ فقد سبق أَن كتبنا تعليقاً لطيفاً في مواضيع كتـــاب التوحيد لشيخ الاسلام (محمد بن عبد الوهاب) قدس الله روحه ، فحصل فيه نفع ومعونة للمشتغلين ، ومساعدة للمعلمين ، لِما فيه من التفصيلات النافعة مع الوضوح التام . وطبع بمطبعة الامام ثم نفدت نسخه مع كثرة الطلب عليه . ودعت الحاجة الشديدة الى اعادة طبعه ونشره ، وفى هذه المرة بَدَا لِي ان اقدم أمام ذلك مقدمة مختصرة تحتوى على مجملات عقائد أهل السنة ، فى الاصول وتوابعهـــا ، فأقول مستعينـــاً بـــالله .

مقدمة

تشتمل على صفوة عقيدة أَهل السنَّة وخلاصتها المستمدة مِن الكتاب والسنة

وذلك أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقَدَر خيره وشــرِّه .

فيشهدون أن الله هو الربُّ الإله المعبود ، المتفرد بكل كمــال فيعبدونه وَحدَه ، مخلصين له الدين .

فيقولون: إنَّ الله هو الخالق البارئ المصوِّر الرزاق المعطــي المانع المدبِّر لجميع الامــور .

وانه المألوهُ المعبود الموحد المقصود ، وانــه الاول الذي ليس قبله شيء ، الآخر الذي ليس بعده شيء ، الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، الباطن الذي ليس دونه شيء .

وانه العليُّ الأعلى بكل معنى واعتبار ، عُلُوٌّ الذات وَعُلُوٌّ القدر ، وعَلُــوٌّ القهــر .

وانه على العرش استوى ، استواءً يليق بعظمته وجلاله ، ومع علوه المطلق وفوقيته ، فعلمه محيط بالظواهر والبواطن والعالــم العلوى والسفلى ، وهو مع العباد بعلمه ، يعلم جميع احوالهم ، وهو القريب المجيب .

وانه الغنى بذاته عن جميع مخلوقاته ، والكل اليه مفتقرون فى إيجادهم وايجاد مــا يحتاجون اليه فى جميع الاوقات ، ولا غنــى لاحد عنه طرفة عين ، وهو الرءوف الرحيم ، الذى ما بالعباد من

نعمة دينية ولا دنيوية ولا دفع نقمة الا مِن الله ، فهو الجالب للنعم ، الدافع للنقم .

ومِن رحمته أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا يستعرض حاجات العباد حين يبقى ثلثُ الليل الآخر . فيقول : لا أسأَل عن عبادى غيري ، مَن ذا الذي يَدعُوني فاستجيب له ، مَن ذا الذي يسألني فأعطيه ، مَن ذا الذي يستغفرني فأغفر له ، حتى يطلع الفجر . فهو ينزل كما يشاء ، ويفعل كما يريد ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

ويعتقدون أنه الحكيم ، الذى له الحكمة التامة فى شرعه وقدره ، فما خلق شيئاً عبثاً ، ولا شرع الشرائع إلاَّ للمصالح والحكم .

وانه التواب العفوُّ الغفورُ ، يقبل التوبةَ مِن عباده ويعفو عن السيئات ، ويغفر الذنوب العظيمة للتائبين والمستغفرين والمنيبين .

وهو الشكور الذى يشكر القليل مِن العمل ويزيد الشاكرين مِن فضله .

ويصفونه بما وَصَفَ به نَفسَه ، ووصفه به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

مِنَ الصفات الذاتية ، كالحياة الكاملة ، والسمع والبصر ، وكمال القدرة والعظمة والكبرياء ، والمجد والجلال والجمال ، والحمد المطلق .

وَمِن صفات الافعال المتعلقة بمشيئته وقدرته كالرحمة والرضا ، والسخط والكلام ، وانه يتكلم بما يشاء كيف يشاء وكلماته لا تنفد ، ولا تبيد . .

وان القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بَدَأَ ، واليه يعود .

وانه لم يزل ولا يَزالُ موصوفاً بأنه يفعل ما يريد ، ويتكلم بما شاءَ ، ويحكم على عباده بأحكامه القدرية ، وأحكامه الشرعية وأحكامه

الجزائية ، فهو الحاكم المالك ، ومَن سواه مملوك محكوم عليه ، فلا خروجَ للعباد عن ملكه ولا عن حكمه .

وَيُؤمنون بما جاءَ به الكتاب وتواترت به السنة : ان المؤمنين يَرَون رَبَّهم تعالى عياناً جهرةً ، وان نعيم رؤيته والفوز برضوانه اكبر النعيم واللَّذَّة .

وَأن مَن مات على غير الايمان والتوحيد فهو مخلَّد في نار جهنم ابداً ، وأنَّ أرباب الكبائر إذا ماتوا على غير توبة ولا حصل لهم مكفر لذنوبهم ولا شفاعة فانهم وان دخلوا النار لا يخلدون فيها ، ولا يبقى في النار احد في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان الا خرج منها .

وان الايمان يشمل عقائد القلوب واعمالها ، واعمال الجوارح واقوال اللسان ، فَمَن قام بها على الوجه الاكمل فهو المؤمن حقاً ، الذى استحق الثواب وسلم من العقاب ، ومَن انتقص منها شيئاً نقص من ايمانه بقدر ذلك . ولذلك كان الايمان يزيد بالطاعة وفعل الخير ، وينقص بالمعصية والشر .

ومن اصولهم السعي والجد فيما ينفع من أمور الدين والدنيا مع الاستعانة بالله . فهم حريصون على ما ينفعهم ويستعينون بالله . وكذلك يحققون الاخلاص لله في جميع حركاتهم ، ويتبعون رسول الله في الاخلاص للمعبود والمتابعة للرسول ، والنصيحة للمؤمنين أتباع طريقهم .

فصل

ويشهدون ان محمداً عبده ورسوله ارسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وانه اولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وهو خاتم النبيين ، ارسل الى الانس والجن بشيراً وَ نذيراً ، وداعياً

إلى الله باذنه وسراجاً منيراً ، ارسله بصلاح الدين وصلاح الدنيا ، وليقوم الخلق بعبادة الله ويستعينوا برزقه على ذلك .

ويعلمون انه اعلم الخلق واصدقهم وانصحهم واعظمهم بياناً ، فيعظمونه ويحبونه ، ويقدمون محبته على محبة الخلق كلهم ويتبعونـــه فى اصول دينهم وفروعـــــه .

ويقدمون قوله وهديه على قول كل احد وهديـــه .

ويعتقدون ان الله جمع له من الفضائـــل والخصائص والكمالات ما لم يجمعه لاحد ، فهو اعلى الخلق مقاماً واعظمهم جاهاً ، واكملهم فى كل فضيلة ، لم يبق خير إلاّ دلّ امته عليه ، ولا شرّ إلاّ حذّرهم منه .

وكذلك يؤمنون بكل كتاب انزله الله ، وكل رسول ارسله الله ، لا يفرقون بين أحد من رسلـــه .

ويؤمنون بالقدر كله ، وان جميع اعمال العباد ــ خيرها وشرها قد احاط بها علم الله ، وجرى بها قلمه ، ونفذت فيها مشيئته ، وتعلقت بها حكمته ، حيث خلق للعباد قدرة وارادة ، تقع بها اقوالهم وافعالهم بحسب مشيئتهم ، لم يجبرهم على شىء منها بل جعلهم مختارين لها ، وخص المؤمنين بأن حبّب اليهم الايمان وزيّنه في قلوبهم ، وكرّهَ اليهم الكفر والفسوق والعصيان بعدله وحكمته .

ومِن اصول اهل السنة انهم يدينون بالنصيحة لله ولكتابه ورسوله، ولائمة المسلمين وعامتهم ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكـــر على ما توجبه الشريعة ، ويأمرون ببرّ الوالدين وصلة الارحـــام ، والاحسان الى الجيران والمماليك والمعاملين ، ومن له حق ، وبالاحسان الـــى الخلق اجمعيـــــن .

ويدعون الى مكارم الاخلاق ومحاسنها ، وينهون عن مساوىء الاخلاق وارذلهـــــا .

ويعتقدون ان أكمــل المؤمنين ايماناً ويقيناً ، احسنهم اعمـــالاً وأخلاقاً . وأصدقهم أقوالاً ، وأهداهم الى كل خير وفضيلة . وأبعدهم من كل رذيلـــــة .

ويأمرون بالقيام بشرائع الدين . على ما جاء عن نبيهم فيهـــا وفى صفاتها ومكملاتها . والتحذير عن مفسداتها ومنقصاتها .

ويرون الجهاد فى سبيل الله ماضياً معَ البَرِّ والفاجر ، وانه ذروة سنام الدين . جهاد العلم والحجة . وجهاد السلاح . وانه فرض على كل مسلم ان يدافع عن الدين بكل ممكن ومستطاع .

ومن أصولهم الحث على جمع كلمة المسلمين . والسعي فى تقريب قلوبهم وتأليفها . . والتحذير من التفرق والتعادي والتباغض والعمل بكل وسيلة توصل الى هذا .

ومن اصولهم النهي عن اذية الخلق فى دمائهم واموالهم واعراضهم وجميع حقوقهم ، والامر بالعدل والانصاف فى جميع المعاملات . والندب الى الاحسانَ والفضل فيهـــا .

ويؤمنون بأن افضل الامم امة محمد صلى الله عليه وسلم وافضلهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . خصوصا الخلفاء الراشدون والعشرة المشهود لهم بالجنة . واهل بدر . وبيعة الرضوان والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار . فيحبون الصحابة ويدينون لله بذلك .

وينشرون محاسنهم ويسكتون عما قيل عن مساوئهم .

ويدينون لله باحترام العلماء الهداة وائمة العدل ، ومَن لهــم المقامات العالية فى الدين والفضل المتنوع على المسلمين ، ويسألون الله أن يعيذهم من الشك والشرك والشقاق والنفاق وسوء الاخلاق وأن يثبتهم على دين نبيهم الى الممات .

هذه الاصول الكلية بها يؤمنون ولها يعتقدون واليها يدعون .

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى : (وَمَا خَلَقتُ الجِنَّ وَالانسَ إِلَّا لِيَعبُدُون) .

وقوله : (وَلَقَد بَعَثنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رسولاً أن اعبُدُوا اللهَ وَاجتَنِبُوا الطَّاغُـوتَ) . الآيــة .

وقوله : (وَقَضَى رَبُّكَ أَن لَا تَعبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَين إِحسَاناً) الآيــــة .

وقوله : (وَاعبُدُوا اللهَ وَلَا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً) ـ الآيــة .

وقوله : (قُل : تَعَالَوا أَتلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم أَن لَا تُشرِكُوا بِــهِ شَيئــاً) . الآيــــات .

قال ابن مسعود : « مَن أَرادَ أَن يَنظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ التِي عَلَيهَا خَاتَمُهُ فَليَقرَأ قَولَهُ تَعَالَى : (قُل تَعَالَوا أَتـلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم أَن لَا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً) . إِلى قوله : وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِـي مُستَقِيمــاً » ـ الآيــــة .

كتــاب التوحيــد

هذه الترجمة تدل على مقصود هذا الكتاب من اوله الى آخره

ولهذا استغني بها عن الخطبة ، اى ان هذا الكتاب يشتمل على توحيد الالهية والعبادة بذكر احكامه ، وحدوده وشروطه ، وفضله وبراهينه ، واصوله وتفاصيله ، واسبابه ، وثمراته ، ومقتضياته ، وما يزداد به ويقويه ، أو يضعفه ويوهيه ، وما به يتم أو يكمل .

اعلــم ان التوحيــد المطلق العلــم والاعتراف بتفرد الــرب

عَن مُعاذ بن جبل رضي الله عنه قال : « كنتُ رديفَ النبي صلّى الله عليه وسلم على حمارٍ فقال لي : يَا مُعَاذُ ؟ أَتدري مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ ؟ قلتُ الله ورسوله أعلم ، قال : حَقّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَن يَعبدُوهُ وَلاَ يُشرِكُوا بِهِ شَيئاً ، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أن لاَ يُعَذِّبَ مَن لاَ يُشرِكُ بهِ شَيئاً ، قلت : أفَلاَ أُبَشِّرُ النَاسَ ؟ قال : لاَ تُبَشِّرهُم فَيَتَّكِلُوا » اخرجاه فى الصحيحين .

فيــه مسائــل

الاولى : الحكمة فى خلق الجنّ والانس .

الثانية : ان العبادة هى التوحيد ، لان الخصومة فيه .

الثالثة : ان مَن لم يأتِ به لم يعبد الله ففيه معنى قولــه : ﴿ وَلاَ أَنتُم عَابِـدُونَ مَـا أَعبُـدُ ﴾ .

بصفات الكمال ، والاقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال . وافراده وحده بالعبــادة .

وهــو ثلاثــة اقســام

احدها : توحيد الاسماء والصفات .

وهو اعتقاد انفراد الرب جل جلاله بالكمال المطلق من جميــع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال التى لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه ، وذلك باثبات ما اثبته الله لنفسه ، أو اثبته لــه رسولــه صلى الله عليه وسلم من جميــع الاسماء والصفــات ، ومعانيها واحكامها ، الواردة فى الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفى لشىء منها ولا تعطيل ، ولا تحريف ولا تمثيــــل .

الرابعة : الحكمة فى ارسال الرسل .

الخامسة : ان الرسالة عَمَّت كُلَّ امـــةٍ .

السادسة : ان دين الانبياءِ واحـــد .

السابعة : المسألة الكبيرة : ان عبادة الله لا تحصل الا بالكفــر بالطاغوت . ففيه معنى قوله : (فَمَن يَكفُر بالطَّاغُوتِ) . الآية .

الثامنة : ان الطاغوت عام فى كل ما عُبِدَ مِن دون الله .

التاسعة : عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات فى سورة الأنعــام عند السلف ، وفيهــا عشــر مســائــل .

اولاها النهي عن الشرك .

والعاشرة : الآيات المحكمات في سورة الاسراء .

وفيها ثمانية عشر مسألة بدأها الله بقوله :

(وَلاَ تَجعَل مَعَ اللهِ إلَهاً آخَرَ فَتَقعُدَ مَذمُوماً مَخذُولاً) . وختمهــا بقـــــولـــــه :

(وَلاَ تَجعَل مَعَ اللهِ إلَهاً آخرا فَتُلقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدحُوراً)

وَنَبَّهنا اللهُ سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله :

(ذَلِكَ مِمَّا أَوحَىَ إلَيكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكمَةِ) .

الحادية عشرة : آية سورة النساء التى تسمى آية الحقوق العشرة بداها الله تعالى بقوله : (وَاعبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً) .

الثانية عشرة : التنبيه على وصيَّة رسول الله صلى الله عليــه وسلم عند موته .

الثالثة عشرة : معرفة حَقِّ الله علينــا .

ونفى ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافى كماله .

الرابعة عشرة : معرفة حق العباد عليه إذا أَدَّوا حَقَّه .

الخامسة عشرة : ان هذه المسألة لا يعرفها اكثر الصحابة

السادسة عشرة : جواز كتمانِ العلم للمصلحة .

السابعة عشرة : استحباب بشارة المسلم بما يَسُرُّه .

الثامنة عشرة : الخوف مِن الاتكال على سعة رحمة الله .

التاسعة عشرة : قول المسؤول عَمَّا لا يعلم : (اَللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ)

العشـــرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .

الثاني : توحيد الربوبيــة

بأن يعتقد العبد ان الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبيـر الذى ربى جميع الخلق بالنعم وربى خواص خلقه وهم الانبيـــاء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة ، والاخلاق الجميلة ، والعلوم النافعة ، والاعمال الصالحة ، وهذه التربية النافعة للقلوب والارواح المثمرة لسعـــادة الداريـــن .

الثالث : توحيد الالهية ــ ويقال له توحيد العبادة

وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الالوهية والعبودية على خلقه اجمعين وافراده وحده بالعبادة كلها واخلاص الدين لله وحده ، وهذا الاخير يستلزم القسمين الاولين ويتضمنهما ، لان الالوهية التـــى هى صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة ، فانه المألوه المعبود لما له من اوصاف العظمة والجلال ، ولما اسداه الى خلقه من الفواضل والافضال ، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه .

ومقصود دعوة الرسل من اولهم الى آخرهم الدعوة الى هذا

الحادية والعشرون : تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الارداف عليه.

الثانية والعشرون : جواز الارداف على الدابة .

الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل .

الرابعة والعشرون : عظم شان هذه المسالة .

باب فضل التوحيد وما يكفّر من الذنوب

وقول الله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) ـ الآيـة . عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه

التـوحيـد .

فذكر المصنف فى هذه الترجمة من النصوص ما يدل على أن الله خلق الخلق لعبادته والاخلاص له ، وان ذلك حقه الواجب المفروض عليهم .

فجميع الكتب السماويـة .

وجميع الرسل دعوا الى هذا التوحيد ، ونهوا عن ضده من الشرك والتنديد ، وخصوصا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القرآن الكريم ، فانه أمر به وفرضه وقرره أعظم تقرير ، وبينه أعظم بيان ، واخبر أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة الا بهذا التوحيد ، وان جميع الادلة العقلية والنقلية والافقية والنفسية ادلة وبراهين على الامر بهذا التوحيـد ووجوبـه .

فالتوحيد هو حق الله الواجب على العبيد وهو أعظم اوامر الدين واصل الاصول كلها ، وأساس الاعمال .

وسلم : (مَن شَهِدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلقَاهَا إِلَى مَريَمَ وَرُوحٌ مِنهُ وَالجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ : أَدخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ . اخرجاه . ولهما فى حديث عتبان : (فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَن قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبتَغِي بِذَلِكَ وَجهَ اللَّهِ) .

وعن ابى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قَالَ مُوسَى يَا رَبِّ عَلِّمنِي شَيئاً أَذكُرُكَ وَأَدعُوكَ بِهِ . قَالَ : قُلْ يَا مُوسَى لَا إِلَهَ إِلَّا الله . قَالَ يَا رَبِّ . كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا . قَالَ : يَا مُوسَى لَو أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبعَ وَعَامِرُهُنَّ ـــ غَيرِي ـــ وَالأَرَضِينَ السَّبعَ فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ : مَالَت بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه » رواه ابن حبان والحاكم وصححـــه .

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

لما ذكر فى الترجمة السابقة وجوب التوحيد ، وانه الفرض الاعظم على جميع العبيد ، ذكر هنا فضله وهو آثاره الحميدة ونتائجه الجميلة ، وليس شىء من الاشياء له من الآثار الحسنة والفضائل المتنوعـــة مثل التوحيد ، فان خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله .

فقول المؤلف رحمه الله . (وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ) من باب عطف الخاص على العام ، فان مغفرة الذنوب وتكفير الذنوب مـــن بعض فضائله وآثاره كما ذكر شواهد ذلك فى الترجمة .

ومن فضائله انه السبب الاعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفـــع عقوبتهمـــا .

ومن أجل فوائده انه يمنع الخلود فى النار . اذا كان فى القلب منه أدنى مثقال حبة خـــردل .

وللترمذى ــ وحسنه ــ عن انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قَالَ اللهُ تَعَالَى : يَا ابنَ آدَمَ . لَو أَتَيتَنِي بِتُرَابِ الأَرضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشرِكُ بِي شَيئاً لَأَتَيتُكَ بِقرابِهَا مَغفِرَةً .

وانه اذا كمل فى القلب يمنع دخول النار بالكليـــة .

ومنها أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والامن التام فى الدنيـا والآخـــرة .

ومنها أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه ، وان أسعد الناس بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله خالصا من قلبـــه .

ومن اعظم فضائله أن جميع الاعمال والاقوال الظاهرة والباطنة متوقفة فى قبولها وفى كمالها وفى ترتب الثواب عليها على التوحيد ، فكلما قوى التوحيد والاخلاص لله كملت هذه الامور وتمـت .

ومن فضائله أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات ، فالمخلص لله فى ايمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه ويهون عليه ترك مـا تهواه النفس من المعاصى لما يخشى من سخطه وعقابه .

ومنها أن التوحيد اذا كمل فى القلب حبب الله لصاحبه الايمان وزينه فى قلبه وكره اليه الكفر والفسوق والعصيان وجعله مـــن الـــراشديـــن .

ومنها أنه يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الالام . فبحسب تكميل العبد للتوحيد والايمان يتلقى المكاره والالام بقلب منشـــرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة .

ومن أعظم فضائله أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلـق

فيـه مسائـل

الاولى : سعة فضل اللـــه .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنـوب .

الرابعة : تفسير الآية التي فى سورة الأنعام .

الخامسة : تأمل الخمس اللواتي فى حديث عبادة .

السادسة : انك اذا جمعت بينـه وبين حديث عتبان وما بعـده تبيّن لك معنى قول « لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ » وتبيَّن لك خطأ المغروريـن .

السابعة : التنبيه للشرط الذى فى حديث عتبان .

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل « لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ »

بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لاجلهم وهـذا هو العز الحقيقـى والشـرف العالـى .

ويكون مع ذلك متألها متعبدا لله لا يرجو سواه ولا يخشى الا اياه ، ولا ينيب الا اليه ، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحـه .

ومن فضائله التى لا يلحقه فيها شىء ان التوحيد اذا تـم وكمل فى القلب وتحقق تحققا كاملا بالاخلاص التام ، فانـه يصير القليل من عمله كثيرا ، وتضاعف أعماله واقواله بغير حصر ولا حساب ، ورجحت كلمة الاخلاص فى ميزان العبد بحيث لا تقابلهـا السموات والارض . وعمارها من جميع خلق الله كما فى حديث أبـى سعيد المذكور فى الترجمة وفى حديث البطاقة التى فيها لا اله الا الله التى وزنت تسعة وتسعين سجلا من الذنوب ، كل سجل يبلغ مد البصر . وذلك لكمال أخلاص قائلها . وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات ، مع ان كثيراً ممن يقولها يخف ميزانــــه .

العاشرة : النص على ان الأرضين سبع كالسموات .

الحادية عشرة : أن لهـــن عمـــاراً .

الثانية عشرة : اثبات الصفات خلافاً للأشعرية .

الثالثة عشرة : انك اذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله فـــي حديث عتبان « فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ يَبتَغِــي بِذَلِكَ وَجهَ اللَّهِ » انه ترك الشرك ، ليس قولها باللسان .

الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورســـوليـــــــــه .

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .

السادسة عشرة : معرفة كونه روحاً منـــــه .

السابعة عشرة : معرفة فضل الايمان بالجنة والنار .

المبلغ ، لانه لم يكن فى قلبه من التوحيد والاخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبـــد .

ومن فضائل التوحيد ان الله تكفل لاهله بالفتح والنصر فى الدنيـــا والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى واصلاح الاحوال والتسديد فى الاقوال والافعـــال .

ومنها أن الله يدافع عن الموحدين أهل الايمان شرور الدنيـــا والآخرة ، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمانينة اليه والطمانينـــــة بذكره ، وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفـــة والله اعلـــــم .

الثامنة عشرة : معرفة قوله « عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ » .

التاسعة عشرة : معرفة ان الميزان له كفتان .

العشـــرون : معرفة ذكر الوجـــه .

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى (إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَم يَــكُ مِنَ المُشرِكِينَ) . وقال : (وَالذِينَ هُم بِرَبِّهِم لاَ يُشرِكُونَ) .

عن حصين بن عبد الرحمن قال : « كنت عند سعيد بن جبير فقال : أَيكم راى الكوكبَ الذي انقض البارحة ؟ فقلت : أنا ، ثم قلت أما انى لم اكن فى صلاة : ولكنى لدغت . قال فما صنعت ؟ قلت ، ارتقيت قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبى ، قال : ومـــا حدثكم ؟ قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب انه قال : لاَ رُقيَةَ إِلَّا مِن عَينٍ أَوحُمَةٍ » قال احسن من انتهى الى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : عُرِضَت عَلَيَّ الأُمَمُ ، فَرَأَيتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهطُ، وَالنَّبِيَّ مَعَهُ الرَّجُلَ وَالرَّجُلاَنِ ، وَالنَّبِيَّ وَلَيــسَ

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وهذا الباب تكميل للباب الذى قبله وتابع لـــه .

فان تحقيق التوحيد تهذيبه وتصفيته من الشرك الاكبر والاصغر ، ومن البدع القولية الاعتقادية ، والبدع الفعلية العملية ، ومن المعاصى وذلك بكمال الاخلاص لله فى الاقوال والافعال والارادات ، وبالسلامة من الشرك الاكبر ــ المناقض لاصل التوحيد ، ومن الشرك الاصغر المنافى لكماله ، وبالسلامة من البدع .

مَعَهُ أَحَدٌ،إِذ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنتُ أَنَّهُم أُمَّتِي : فَقِيلَ لِي هَــذَا مُوسَى وَقَومُهُ فَنَظَرتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : هَذِهِ أُمَّتُكَ ، وَمَعَهُم سَبعُونَ أَلفاً يَدخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ». ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس فى أولئك ، فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا فى الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا . وذكروا اشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال :«هُمُ الذِينَ لاَ يَستَرقُونَ وَلاَ يَكتَوُونَ وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ . وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ » فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله ان يجعلنى منهم.فَقَالَ أَنتَ مِنهُم.ثم قام رجل آخر فقال : أُدعُ اللهَ أَن يَجعَلَنِي مِنهُم.فَقَالَ : سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةَ .

فيــه مسائــل

الاولى : معرفة مراتب الناس فى التوحيد .

الثانية : ما معنى تحقيقــه .

الثالثة : ثناؤه سبحانه على ابراهيم بكونه لم يك من المشركين

الرابعة : ثناؤه على سادات الاولياء بسلامتهم من الشرك .

الخامسة : كون ترك الرقية والكى من تحقيق التوحيد .

السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .

والمعاصى التي تكدر التوحيد وتمنع كماله ، وتعوقه عن حصول آثاره ،

فمن حقق توحيده بأن امتلأ قلبه من الايمان والتوحيد والاخلاص وصدقته الاعمال بأن انقادت لاوامر الله طائعة منيبة مخبتة الى الله ولم يجرح ذلك بالاصرار على شيء من المعاصى ، فهذا الذى يدخل الجنة بغير حساب ويكون من السابقين الى دخولها والى تبوء المنازل منها

السابعة : عمق علم الصحابة بمعرفتهم انهم لم ينالوا ذلك الا بعمل

الثامنة : حرصهم على الخيـــر .

التاسعة : فضيلة هذه الامة بالكمية والكيفية .

العاشرة : فضيلة اصحاب موسى

الحادية عشرة : عرض الامم عليه ، عليه الصلاة والسلام .

الثانية عشرة : ان كل امة تحشر وحدها مع نبيها .

الثالثة عشرة : قلة من استجاب للانبيــاء .

الرابعة عشرة : ان من لم يجبه احد ياتى وحده .

الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهـــد فى القلـــة .

السادسة عشرة : الرخصة فى الرقية من العين والحمة .

السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله (قَد أَحسَنَ مَن انتَهَى

ومن اخص ما يدل فى تحقيقه كمال القنوت لله وقوة التوكل على الله بحيث لا يلتفت القلب الى المخلوقين فى شأن من شئونه ؛ ولا يستشرف اليهم بقلبه ، ولا يسألهم بلسان مقاله او حاله ، بـــل يكون ظاهره وباطنه واقواله وافعاله وحبه وبغضه ، وجميع احواله كلها مقصودا بها وجه الله متبعا فيها رسول الله .

والناس فى هذا المقام العظيم درجات (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا). وليس تحقيق التوحيد بالتمنى ولا بالدعاوى الخالية من الحقائق ، ولا بالحلى العاطلة ، وانما ذلك بما وقر فى القلوب من عقائد الايمان وحقائق الاحسان وصدقته الاخلاق الجميلة ، والاعمال الصالحـــة الجليلـــــة .

إِلَى مَا سَمِعَ وَلَكِن كَذَا وَكَذَا) فعلم ان الحديث الاول لا يخالف الثانى .

الثامنة عشرة : بعد السلف عن مدح الانسان بما ليس فيه .

التاسعة عشرة : قوله (أَنتَ مِنهُم) علم من اعلام النبوة .

العشـــــرون : فضيلـــة عكاشـــة .

الحادية والعشرون : استعمال المعاريض .

الثانية والعشرون : حسن خلقه صلى الله عليه وسلم .

(باب الخوف من الشرك)

وقول الله عز وجل : (إِنَّ اللهَ لاَ يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَـــاءُ) .

وقال الخليل عليه السلام : (وَاجنبنِي وَبَنِيَّ أَن نَعبُدَ الأَصنَامَ) :

وفى الحديث « أَخوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيكُم الشِركَ الأَصغَرَ. فسئـل عنـــه ؟ فقـــال: الرِّيَـــاء » .

وعن ابى مسعود رضى الله عنه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال : (مَن مَاتَ وَهُوَ يَدعُو مِن دُونِ اللهِ نِدّاً دَخَلَ النَّارَ) . رواه البخـــــارى .

ولمسلم عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مَن لَقِيَ اللهَ لاَ يُشرِكُ بِهِ شَيئاً دَخَلَ الجَنَّةَ.وَمَن لَقِيَهُ يُشرِكُ بِـــهِ شَيئـــاً دَخَلَ النَّـــارَ) .

فمن حقق التوحيد على هذا الوجه حصلت له جميع الفضائل المشار اليها فى الباب السابق بأكملها والله اعلـــم .

(باب الخوف من الشرك)

الشرك فى توحيد الالهية والعبادة ينافى التوحيد كل المنافاة وهو

فيــه مسائــل

الاولى : الخوف من الشرك .

الثانية : ان الريـــاء من الشرك .

الثالثة : انه من الشرك الاصـغر .

الرابعة : انه اخوف ما يخاف منه على الصالحين .

الخامسة : قرب الجنـــة والنـــار .

السادسة : الجمع بين قربهما فى حديث واحـــد .

السابعة : انه من لقيه لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار ولو كان من أعبد الناس .

نوعـــان : شرك اكبر جليّ ، وشرك أصغر خَفِــيّ .

فَأَمَّــا الشِّــرْكُ الأَكْبَــرُ :

فهو أن يجعل لله ندا يدعوه كما يدعو الله ، أو يخافـــه أو يرجوه أو يحبه كحب الله ، أو يصرف له نوعا من أنواع العبادة ، فهذا الشرك لا يبقى مع صاحبه من التوحيد شىء ، وهذا المشرك الذى حرم الله عليه الجنة ومأواه النـــــار .

ولا فرق فى هذا بين أن يسمى تلك العبادة التى صرفها لغيــر الله عبادة ، أو يسميها توسلا ، أو يسميها بغير ذلك من الاسماء فكل ذلك شرك أكبر لان العبرة بحقائق الاشياء ومعانيها دون الفاظها وعبـــاراتهــــا .

وَأَمَّــا الشِّرْكُ الأَصْغَــرُ :

فهو جميع الاقوال والافعال التى يتوسل بها الى الشرك كالغلو فى المخلوق الذى لا يبلغ رتبة العبادة كالحلف بغير الله ويسير الريـــاء

الثامنة : المسالة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الاصنـــــام .

التاسعة : اعتباره بحال الاكثر لقوله : (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِــنَ النَّـــاسِ) .

العاشرة : فيه تفسير (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ) كما ذكره البخارى .

الحادية عشرة : فضيلة من سلم من الشرك .

(باب الدعاء الى شهادة ان لا اله الا الله)

وقول الله تعالى : (قُل سَبِيلِي أَدعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ــ الآيــــــة) .

ونحــو ذلــك .

فاذا كان الشرك ينافى التوحيد ويوجب دخول النار والخلود فيها وحرمان الجنة اذا كان اكبر ولا تتحقق السعادة الا بالسلامة منه كان حقا على العبد أن يخاف منه أعظم خوف وان يسعــى فى الفرار منه ومن طرقه ووسائله واسبابه ويسأل الله العافية منه كما فعل ذلك الانبياء والاصفياء وخيار الخلق .

وعلى العبد ان يجتهد فى تنمية الاخلاص فى قلبه وتقويته ، وذلك بكمال التعلق بالله تالها وانابة وخوفا ورجاء وطمعا وقصدا لمرضاته وثوابه فى كل ما يفعله العبد وما يتركه من الامور الظاهرة والباطنة ، فان الاخلاص بطبيعته يدفع الشرك الاكبر والاصغر وكل من وقــع منه نوع من الشرك فلضعف اخلاصـــه .

(باب الدعاء الى شهادة ان لا اله الا الله)

وهذا الترتيب الذى صنعه المؤلف فى هذه الابواب فى غايـــة

عن ابن عباس رضى الله عنهما (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن قال له : إِنَّكَ تَاتِي قَوماً مِن أَهلِ الكِتَابِ . فَليَكُن أَوَّلَ مَا تَدعُوهُم إِلَيهِ شَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ) .

وفى رواية : إِلَى أَن يُوَحِّدُوا اللَّهَ ـــ فَإِن هُم أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعلِمهُم أَنَّ اللهَ افتَرَضَ عَلَيهِم خَمسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَومٍ وَلَيلَةٍ،فَإِن هُم أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعلِمهُم أَنَّ اللَّهَ افتَرَضَ عَلَيهِم صَدَقَةً تُؤخَذُ مِن أَغنِيَائِهِم فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِم . فَإِن هُم أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَموَالِهِم . وَاتَّقِ دَعوَةَ المَظلُومِ . فَإِنَّهُ لَيسَ بِينَهَا وَبَينَ اللهِ حِجَابٌ) اخرجاه .

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه : أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر (لَأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، يَفتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيهِ ، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيلَتَهُم . أَيُّهُم يُعطَاهَا . فَلَمَّا أَصبَحُوا غَدَوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها . فقال:أَينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالبٍ ؟ فقيل : هو يشتكى عينيه . فأرسلوا اليه فأتى به فبصق فى عينيه ودعا له ...

فَبَرِئَ كَأَن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية : فقال : إِنفَذْ عَلَى

المناسبة فانه ذكر فى الابواب السابقة وجوب التوحيد وفضله ، والحث عليه وعلى تكميله ، والتحقق به ظاهرا وباطنا ، والخوف من ضده ، وبذلك يكمل العبد نفسه .

ثم ذكر فى هذا الباب تكميله لغيره بالدعوة الى شهادة (أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ) فانه لا يتم التوحيد حتى يكمل العبد جميع مراتبه ثم يسعى فى تكميل غيره ــ وهذا هو طريق جميع الانبياء ــ فانهم اول ما يدعون قومهم الى عبادة الله وحده لا شريك له وهى طريقة

رسلِكَ ، حَتَّى تَنزِلَ بِسَاحَتِهِم ، ثُمَّ ادعُهُم إِلَى الإِسلَامِ . وَأَخبِرهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيهِم مِن حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ فَوَاللّهِ لَأَن يَهدِيَ اللّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيرٌ لَكَ مِن حُمرِ النَّعَمِ) يدوكون : اى يخوضون .

فيـــه مسائـــل

الاولى : ان الدعوة الى الله طريق من اتبع رسول الله صلى الله عليـــه وسلم .

الثانية : التنبيه على الاخلاص ؟ لأن كثيراً من الناس لـــو دعـــا الى الحق فهو يدعو الى نفســـه .

الثالثة : ان البصيرة من الفرائض .

الرابعة : من دلائل حسن التوحيد كونه تنزيها لله تعالى عن المسبـــــة .

الخامسة : ان من قبح الشرك كونه مسبة لله .

السادسة : وهى من اهمها ابعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لـــم يشـــرك .

السابعة : كون التوحيد اول واجـــب .

سيدهم وامامهم صلى الله عليه وسلم لانه قام بهذه الدعوة أعظم قيام ودعا الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ـــ لم يفتر ولم يضعف حتى أقام الله به الدين وهدى به الخلق العظيم ، ووصل دينه ببركة دعوته الى مشارق الارض ومغاربها ـــ وكان يدعو بنفسه ويأمر رسله وأتباعه أن يدعوا الى الله والى توحيده قبل كل شيء لان جميع الاعمال متوقفة فى صحتها وقبولها علـــــى التوحيـــــــد .

فكما أن على العبد أن يقوم بتوحيد الله فعليه أن يدعو العباد

الثامنة : انه يبدا به قبل كل شيء حتى الصلاة .

التاسعة : ان معنى (أَن يُوَحِّدُوا اللهَ) معنى شهادة ان لا اله الا الله .

العاشرة : ان الانسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها او يعرفها ولا يعمل بها .

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج .

الثانية عشرة : البداءة بالأَهمّ فالأهمّ .

الثالثة عشرة : مصرف الزكاة .

الرابعة عشرة : كشف العالم الشبهة عن المتعلم .

الخامسة عشرة : النهى عن كرائم الاموال .

السادسة عشرة : اتقاء دعوة المظلوم .

السابعة عشرة : الاخبار بأنها لا تحجب .

الثامنة عشرة : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين . وسادات الاولياء من المشقة والجوع والوباء .

الى الله بالتى هى أحسن — وكل من اهتدى على يديه فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء .

واذا كانت الدعوة الى الله ، والى شهادة ان لا اله الا الله فرضا على كل أحد . كان الواجب على كل أحد بحسب مقدوره .

فعلى العالم من بيان ذلك والدعوة والارشاد والهداية أعظم مما على غيره ممن ليس بعالم .

وعلى القادر ببدنه ويده أو ماله أو جاهه وقوله أعظم مما على من ليست له تلك القدرة .

التاسعة عشرة : قوله (لَأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ) الخ . علم من اعلام النبــــــــوة .

العشـــــرون : تفله فى عينيه علَم من أعلامها ايضـــاً .

الحادية والعشرون : فضيلة عليّ رضى الله عنه .

الثانية والعشرون : فضل الصحابة فى دَوكِهِم تلـك الليلـــة وشغلهم عن بشارة الفتـــح .

الثالثة والعشرون : الايمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسعَ لها ومنعهـــا عمَّـــن سعَـــى .

الرابعة والعشرون : الادب فى قوله عَلَى رِسلِـكَ .

الخامسة والعشرون : الدعوة الى الاسلام قبل القتال .

السادسة والعشرون : انه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا .

السابعة والعشرون : الدعوة بالحكمة لقوله (أَخبِرهُم بِمَا يَجِبُ)

الثامنة والعشرون : المعرفة بحق الله فى الاسلام .

التاسعة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد .

الثـــلاثـــون : الحلـف على الفتيـــا .

(باب تفسير التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله)

وقول الله تعالى : (أُولَئِكَ الذِينَ يَدعُونَ يَبتَغُونَ إِلَى رَبِّهِــم

قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) ورحم الله من اعان علـــى الدين ولو بشطر كلمة ــ وانما الهلاك فى ترك ما يقدر عليه العبد من الدعـــوة الى هذا الديـــن .

(باب تفسير التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله)

هما بمعنى واحد ، فهو من باب عطف المترادفين .

الوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقرَبُ) الآيــة .

وقوله : (وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَومِهِ إِنَّنِي براءٌ مِّمَّا تَعبُدُونَ . إِلَّا الذِي فَطَرَنِــي) الآيــة .

وقوله : (اتَّخَذُوا أَحبَارَهُم وَرُهبَانَهُم أَربَاباً مِــن دُونِ اللهِ) الآيـــة .

وقوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللهِ) الآيـــة .

وفي الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : (مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ وَكَفَرَ بِمَا يَعبُدُ مِن دُونِ اللهِ حرمَ مَا لُهُ وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَــلَّ) .

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الابواب .

وهذه المسالة اكبر المسائل واهمها كما قال المصنف رحمه الله .

وحقيقة تفسير التوحيد : العلم والاعتراف بتفرد الرب بجميــع صفات الكمال واخلاص العبادة لــــه .

وذلك يرجع الى امرين : نفى الالوهة كلها عن غير الله ، بأن يعلم ويعتقد أن لا يستحق الالهية ولا شيئا من العبودية احــــد من الخلق لا نبى مرسل ولا ملك مقرب ولا غيرهما ، وانه ليس لاحد من الخلق فى ذلك حظ ولا نصيــب .

والامر الثانى : اثبات الالوهية لله تعالى وحده لا شريك لـــه وتفرده بمعانى الالوهية كلها وهى نعوت الكمال كلها ، ولا يكفى هذا الاعتقاد وحده حتــى يحققه العبد باخلاص كله الدين لله فيقــوم بالاسلام والايمان والاحسان وبحقوق الله وحقوق خلقه قاصــدا بذلك وجه الله وطالبا رضوانه وثوابه .

فيـــه اكبـــر المسائـــل واهمهـــا ـــ

وهـــى تفسير التوحيد ـــ وتفسير الشهادة

وبينهمـــا بأمور واضحـــــة ـــ

منها آية الاسراء . بَيَّن فيها الردَّ على المشركين الذين يدعـــون الصالحين ففيها بيان ان هذا هو الشرك الاكبر .

ومنها آية براءة بَيَّن فيها ان اهل الكتاب اتخذوا احبارهـــم ورهبانهم أرباباً من دون الله .

وبين انهم لم يؤمروا إلَّا بأن يعبدوا إلهـــاً واحداً مع أن تفسيرها الذى لا اشكال فيه طاعة العلماء والعباد فى المعصية ، لادعاءهم اياهم .

ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الذِي فَطَرَنِي) فاستثنى من المعبودين ربـــه .

وذكر سبحانه ان هذه البراءة وهذه الموالاة هى تفسير شهادة أن لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهَ فقال (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ) .

ويعلم ان من تمام تفسيرها وتحقيقها البراءة من عبادة غير الله ، وان اتخاذ انداد يحبهم كحب الله او يطيعهم كطاعة الله او يعمل لهم كما يعمل لله ينافى معنى لا اله الا الله اشـــد المنافاة .

وبين المصنف رحمه الله أن من اعظم ما يبين معنى لا اله الا الله قوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ما له ودمه وحسابه على الله . فلم يجعل مجرد التلفظ بها عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو الا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحـــرم ماله ولا دمه حتى يضيف الى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فـــان شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه .

ومنها آية البقرة فى الكفار الذين قال الله فيهم (وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) ذكر انهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على انهم يحبون الله حباً عظيماً ، ولم يدخلهم فى الاسلام ، فكيف بمن أحب الند اكبر من حب الله ، فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم (مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ وَكَفَرَ بِمَا يَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ حرمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ) .

وهذا من اعظم ما يبين معنى ـ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ ـ فانه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلاّ الله وحدَه لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف الى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ، فان شكَّ أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه ، فيالها من مسألة ما اعظمها واجلها ، ويا له من بيان ما أوضحه ، وحجة ما اقطعها للمنـــازع .

فتبين بذلك انه لا بد من اعتقاد وجوب عبادة الله وحده لا شريك له ، ومن الاقرار بذلك اعتقادا ونطقا ، ولا بد من القيام بعبودة الله وحده طاعة لله وانقيادا ، ولا بد من البراءة مما ينافى ذلك عقدا وقولا وعمـــلا .

ولا يتم ذلك الا بمحبة القائمين بتوحيد الله وموالاتهم ونصرتهـم

وبغض أهل الكفر والشرك ومعاداتهم ، لا تغنى فى هذا المقام الالفاظ المجردة ولا الدعاوى الخالية من الحقيقة ، بـل لا بد أن يتطابق العلم والاعتقاد والقول والعمل ، فان هذه الاشياء متلازمـة متى تخلف واحد منها تخلفت البقية والله أعلـم .

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى : « قُل أَفَرَأَيتُم مَا تَدعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِن أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَل هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهُ » الآيــة .

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً فى يده حلقة من صفر فقال : مَا هَذِهِ ، قال: مِنَ الواهِنَةِ . فقالَ انزَعهَا فَإِنَّهَا لاَ تَزِيدُكَ إِلاَّ وَهناً . فَإِنَّكَ لَومُتَّ وَهِيَ عَلَيكَ مَا أَفلَحتَ أَبَداً) رواه أحمد بسند لا باس بــه .

وله عن عقبة بن عامر مرفوعا « مَن تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ ، وَمَن تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ) .

وفى رواية « مَن تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَد أَشــرَكَ » .

ولابن ابى حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله « وَمَا يُؤمِنُ أَكثَرُهُم بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُشرِكُونَ » .

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وهذا الباب يتوقف فهمه على معرفة احكام الاسباب .

وتفصيل القول فيها انه يجب على العبد ان يعرف فى الاســباب ثلاثــة امــــور :

أَحَدُهَا : ان لا يجعل منها سبباً الا ما ثبت انه سبب شرعا أو قــــــــــدرا .

ثَانِيهَا : ان لا يعتمد العبد عليها بل يعتمد على مسببها ومقدرها مع قيامه بالمشروع منها وحرصه على النافع منها .

فيـــه مسائـــل

الاولى : التغليظ فى لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك .

الثانية : ان الصحابى لو مات وهى عليه ما افلح . فيه شاهـــد لكلام الصحابة أن الشرك الاصغر اكبر من الكبائر .

الثالثة : انه لم يعذر بالجهالـــــة .

الرابعة : انها لا تنفع فى العاجلة بل تضر ، لقوله (لاَ تَزِيدُكَ إلاَّ وَهنـــــــاً) .

الخامسة : الانكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك .

السادسة : التصريح بأن من تعلق شيئا وكل اليـــه .

السابعة : التصريح بأن من تعلق تميمة فقد اشرك .

ثَالِثُهَا : ان يعلم ان الاسباب مهما عظمت وقويت فانها مرتبطة بقضاء الله وقدره لا خروج لها عنه : والله تعالى يتصرف فيهـــا كيف يشاء . ان شاء أبقى سببيتها جارية على مقتضى حكمته ليقوم بها العباد ويعرفوا بذلك تمام حكمته حيث ربط المسببات بأسبابهـــا والمعلولات بعللها ، وان شاء غيرها كيف يشاء لئلا يعتمد عليهـــا العباد وليعلموا كمال قدرته ، وان التصرف المطلق والارادة المطلقـــة لله وحده ، فهذا هو الواجب على العبد فى نظره وعمله بجميع الاسباب .

اذا علم ذلك فمن لبس الحلقة أو الخيط أو نحوهما قاصـــدا بذلك رفع البلاء بعد نزوله ، أو دفعه قبل نزوله فقد اشرك ، لانـــه ان اعتقد انها هى الدافعة الرافعة فهذا الشرك الاكبر .

وهو شرك فى الربوبية حيث اعتقد شريكا مع الله فى الخلق والتـــدبيـــــــر .

الثامنة : ان تعليق الخيط من الحمى من ذلك .

التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على ان الصحابة يستدلون بالآيات التى فى الشرك الاكبر على الاصغر ، كما ذكر ابن عباس فى آية البقرة .

العاشرة : ان تعليق الودع من العين من ذلك .

الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمة ان الله لا يتم له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له . اى ترك الله له .

وشرك فى العبودية حيث تأله لذلك وعلق به قلبه طمعا ورجاء لنفعه . وان اعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده ولكن اعتقدها سببا يستدفع بها البلاء فقد جعل ما ليس سببا شرعيا ولا قدريا سببا ، وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر .

اما الشرع فانه ينهى عن ذلك اشد النهى . وما نهى عنه فليس من الاسباب النافعة .

واما القدر فليس هذا من الاسباب المعهودة ولا غير المعهودة التى يحصل بها المقصود ، ولا من الادوية المباحة النافعة . وكذلك هو من جملة وسائل الشرك فانه لابد أن يتعلق قلب متعلقها بها ، وذلك نوع شرك ووسيلة اليه .

فاذا كانت هذه الامور ليست من الاسباب الشرعية التى شرعها على لسان نبيه التى يتوسل بها الى رضاء الله وثوابه ، ولا من الاسباب القدرية التى قد علم او جرب نفعها مثل الادوية المباحة كان المتعلق بها متعلقا قلبه بها راجيا لنفعها ، فيتعين على المؤمن تركها ليتم ايمانه وتوحيده فانه لو تم توحيده لم يتعلق قلبه بما ينافيه ، وذلك ايضا نقص فى العقل حيث تعلق بغير متعلق ولا

(باب ما جاء فى الرقى والتمائم)

فى الصحيح : عن ابى بشير الانصارى رضى الله عنه . (انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره ، فَأَرسَلَ رَسُولاً أَن لاَ يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلاَدَةٌ مِن وَتَرٍ أَو قِلاَدَةٌ إلاَّ قُطِعَت) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سَمِعتُ رسولَ اللـــه صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِركٌ » رواه أحمد وابو داود .

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً . « مَن تَعَلَّقَ شَيئاً وُكِلَ إِلَيهِ » رواه أحمد والترمذى .

« التمائم شىء يعلق على الاولاد يتقون به عن العين . ولكن اذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لــم يرخص فيه ويجعله من المنهى عنه ، منهم ابن مسعود رضى الله عنه . « والرقى » هى التى تسمى العزائم ، وخص منها الدليل ما خــلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمـــــة .

نافع بوجه من الوجوه ، بل هو ضرر محض .

والشرع مبناه على تكميل اديان الخلق بنبذ الوثنيات والتعلــق بالمخلوقين ، وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات ، والجد فى الامور النافعة المرتبة للعقول ، المزكية للنفوس . المصلحـــة للاحوال كلها دينيها ودنيويها والله اعلــم .

(باب ما جاء فى الرقى والتمائم)

اما التمائم فهى تعاليق تتعلق بها قلوب متعلقيها ، والقول فيها كالقول فى الحلقة والخيط كما تقــدم .

و « التولة » هى شىء يصنعونه يزعمون انه يحبِّب المراة الــى زوجها والرجل الى امراته .

وروى احمد عن رويفع قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَـا رُوَيفِع لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ فَأَخبِر النَّاسَ أَنَّ مَن عَقَدَ لِحيَتَهُ أَو تَقَلَّدَ وَتَراً أَو استَنجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَو عَظمٍ فَإِنَّ مُحَمَّداً بَرِىءٌ مِنــــهُ » .

وعن سعيد بن جبير قـــال :

« مَن قَطَع تَمِيمَةً مِن إنسَانٍ كَانَ كَعدلِ رَقَبَةٍ » رواه وكيع .

ولـــه عن ابراهيم قـــال :

كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن .

فيــه مسائــل

الاولى : تفسير الرقى والتمائم .

فمنها ما هو شرك أكبر ، كالتى تشتمل على الاستغاثة بالشياطين او غيرهم من المخلوقين . فالاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله شرك كما سيأتى ان شاء الله .

ومنها ما هو محرم كالتى فيها اسماء لا يفهم معناها لانها تجــر الــى الشـــرك .

واما التعاليق التى فيها قرآن أو أحاديث نبوية او ادعية طيبــة محترمة فالاولى تركها لعدم ورودها عن الشارع ، ولكونها يتوســل بها الى غيرها من المحرم ، ولان الغالب على متعلقها أنه لا يحترمهــا ويدخل فيها المواضع القذرة . اما الرقى ففيها تفصيل :

فان كانت من القرآن او السنة أو الكلام الحسن فانها مندوبــة فى حق الراقى لانها من باب الاحسان ، ولما فيها من النفع ، وهى

الثانية : تفسيـــر التِّوَلَـــــة .

الثالثة : ان هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء .

الرابعة : ان الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك .

الخامسة : ان التميمة اذا كانت من القرآن ، فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا ؟

السادسة : ان تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك .

السابعة : الوعيد الشديد على من علق وتــــراً .

الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمة من انسان .

التاسعة : ان كلام ابراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف لان مراده أصحاب عبد الله ابن مسعود .

(باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما)

وقول الله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى) الآيات .

جائزة فى حق المرقى الا انه لا ينبغى له ان يبتدىء بطلبها ، فان من كمال توكل العبد وقوة يقينه ان لا يسأل أحدا من الخلق لا رقية ولا غيرها ، بل ينبغى اذا سأل أحدا ان يدعو له ان يلحظ مصلحة الداعى والاحسان اليه بتسببه لهذه العبودية له مع مصلحة نفسه ، وهـــذا من أسرار تحقيق التوحيد ومعانيه البديعة التى لا يوفق للتفقه فيها والعمل بها الا الكمل من العبـــاد .

وان كانت الرقية يدعى بها غير الله ويطلب الشفاء من غيره فهذا هو الشرك الاكبر لانه دعاء واستغاثة بغير الله .

فافهم هذا التفصيل ، واياك ان تحكم على الرقى بحكم واحد مع تفاوتها فى أسبابها وغاياتها .

عن ابى واقد الليثى قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حُنين ونحن حُدَثاءُ عهدٍ بكفر ! وللمشركين سِدرَةٌ يعكفون عندها وَيَنُوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ! فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط ! كما لهم ذات انواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«اللّهُ أَكبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ قُلتم.والَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ.كَمَا قَالَت بَنُو إِسرَائيل لِمُوسَى : (اجعَل لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُم آلِهَةٌ ، قَالَ إِنَّكُم قَومٌ تَجهَلُونَ) لَتَركَبُنَّ سُنَنَ مَن كَانَ قَبلَكُم». رواه الترمذى وصححه .

فيه مسائل

الاولى : تفسير آية النجم .

الثانية : معرفة صورة الأمر الذى طلبوا .

الثالثة : كونهم لم يفعلوا .

الرابعة : كونهم قصدوا التقرب الى الله بذلك لظنهم انه يحبه

الخامسة : انهم اذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل .

السادسة : ان لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم

السابعة : ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم ! بل رَدَّ عليهم بقوله : « اللهُ أَكبَرُ إِنَّها السُّنَنُ لَتَتبَعُنَّ سُنَنَ مَن كَانَ قَبلَكُم » فغلظ الأمر بهذه الثلاث .

(باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما)

اى فان ذلك من الشرك ، ومن اعمال المشركين ، فان العلماء اتفقوا على انه لا يشرع التبرك بشيء من الاشجار والاحجار والبقع والمشاهد وغيرها . فان هذا التبرك غلو فيها وذلك يتدرج به الى

الثامنة : الامر الكبير وهو المقصود انه أخبر ان طلبهم كطلب بنى اسرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا الهـا .

التاسعة : ان نفى هذا من معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰه) مع وقتـه وخفائـه على أولئـك .

العاشرة : انه حلف على الفتيا وهو لا يحلف الا لمصلحة .

الحادية عشرة : ان الشرك فيه اكبر واصغر ، لأنهم لـم يرتـدوا بهـذا .

الثانية عشرة : قوله (وَنَحنُ حُدَثَاءُ عَهدٍ بِكُفرٍ) فيه أن غيرهم لا يجهـل ذلـك .

الثالثة عشرة : التكبير عند التعجب خلافاً لمن كرهه .

الرابعة عشرة : سـدّ الذرائـع .

الخامسة عشرة : النهى عن التشبه بأهل الجاهلية .

السادسة عشرة : الغضب عند التعليم .

السابعة عشرة : القاعدة الكلية . لقوله (إِنَّهَا السُّنَنُ) .

الثامنة عشرة : ان هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر

التاسعة عشرة : ان كل ماذم الله به اليهود والنصارى فـى القـرآن انـه لنـا .

دعائها وعبادتها ، وهذا هو الشرك الاكبر كما تقدم انطباق الحـد عليه ، وهذا عام فى كل شىء حتى مقام ابراهيم وحجرة النبى صلى الله عليه وسلم وصخرة بيت المقدس وغيرها من البقع الفاضلة .

واما استلام الحجر الاسود وتقبيله واستلام الركن اليمانى من الكعبة المشرفة فهذا عبودية لله وتعظيم لله وخضوع لعظمته فهـو

العشــرون : انه مقرر عندهم ان العبادات مبناها على الأمر . فصار فيه التنبيه على مسائل القبر اما من ربك فواضح واما مــن اخباره بأنباء الغيب ، واما ما دينك فمن قولهم (اجعل لنا إِلَهاً الـخ) .

الحادية والعشرون : ان سنة اهــل الكتاب مذمومة كسنــة المشركــــين .

الثانية والعشرون : ان المنتقل من الباطل الذى اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون فى قلبه بقية من تلك العادة ، لقولهم (وَنَحنُ حُدَثَاءُ عَهدٍ بكفــــرٍ) .

(باب ما جاء فى الذبح لغير الله)

وقول الله تعالى (قُل إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِين لاَ شَرِيكَ لَــهُ) الآيــة .

وقوله (فَصَــلِّ لِرَبِّــكَ وَانحَــر) .

عن عليّ رضي الله عنه قال : « حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات : لَعَنَ اللهُ مَن ذَبَحَ لِغَيرِ اللّهِ ، لَعَنَ اللّهُ مَن لَعَنَ وَالِدَيهِ ، لَعَنَ اللّهُ مَن آوَى مُحدِثاً ، لَعَنَ اللهُ مَن غَيَّرَ مَنَارَ الأَرضِ » رواه مسلم .

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ. قالوا كيف ذلك يا رسول الله قال : مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَومٍ لَهُم صَنَمٌ لاَ يَجُوزُه أَحَدٌ حَتَّى

روح التعبد .

فهذا تعظيم للخالق وتعبد له ، وذاك تعظيم للمخلوق وتأله لــه

فالفرق بين الامرين كالفرق بين الدعاء لله الذى هو اخلاص وتوحيد ، والدعاء للمخلوق الذى هو شرك وتنديد .

يُقَرِّبَ لَهُ شَيئاً ، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا قَرِّب فَقَالَ لَيسَ عِندِي شَيءٌ أُقَرِّبُ قَالُوا لَهُ : قَرِّب وَلَو ذُبَاباً ، فَقَرَّبَ ذُبَاباً ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ فَدَخَلَ النَّارَ وَقَالُوا لِلآخَرِ : قَرِّب . فَقَالَ : مَا كُنتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيئاً دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ فَدَخَلَ الجَنَّةَ) رواه احمد .

فيــه مسائــل

الاولى : تفسير (قُل إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي) .

الثانية : تفسير (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانحَرْ) .

الثالثة : البداءة بلعنة مَن ذبح لغير الله .

الرابعة : لعنَ مَن لعنَ والدَيه ، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك .

الخامسة : لعن مَن آوى محدثا . وهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق الله ، فيلتجيء الى من يجيره من ذلك .

السادسة : لعن من غَيَّر مَنَار الارض ، وهى المراسيم التى تفرق بين حقك وحق جارك من الارض . فتغيرها بتقديم او تأخير .

السابعة : الفرق بين لعن المعين ولعن اهل المعاصي على سبيل العموم .

(باب ما جاء فى الذبح لغير الله)

اى انه شرك ، فان نصوص الكتاب والسنة صريحة فى الامر بالذبح لله ، واخلاص ذلك لوجهه ، كما هى صريحة بذلك فى الصلاة فقد قرن الله الذبح بالصلاة فى عدة مواضع من كتابه .

واذا ثبت ان الذبح لله من اجل العبادات واكبر الطاعات ، فالذبح لغير الله شرك اكبر مخرج عن دائرة الاسلام .

الثامنة : هذه القصة العظيمة ، وهى قصة الذباب .

التاسعة : كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذى لم يقصده بل فعلــه تخلصاً من شرِّهم .

العاشرة : معرفة قدر الشرك فى قلوب المؤمنين ، كيف صبــر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم ، مع كونهم لم يطلبوا إلاَّ العمــل الظاهــــر .

الحادية عشرة : ان الذى دخل النار مسلم ، لانه لو كان كافــراً لم يقل دخل النـــار فى ذباب .

الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح « الجَنَّةُ أَقرَبُ إلــى أَحَدِكُم مِن شِرَاكِ نَعلِهِ ، وَالنَّارُ مِثلُ ذَلِكَ » .

الثالثة عشرة : معرفة أنَّ عمل القلب هو المقصود الأعظــم حتى عند عَبَدةِ الأوثـــــان .

فان حد الشرك الاكبر وتفسيره الذى يجمع انواعه وافراده .

(أَن يَصرِفَ العَبدُ نَوعاً أَو فَرداً مِن أَفرَادِ العِبَادَةِ لِغَيرِ اللهِ)

فكل اعتقاد او قول او عمل ثبت انه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وايمان واخلاص ، وصرفه لغيره شرك وكفــر

فعليك بهذا الضابط للشرك الاكبر الذى لا يشذ عنه شىء .

كما أن حد الشرك الاصغر هـــو .

(كُلُّ وَسِيلَةٍ وَذَرِيعَةٍ يُتَطَرَّقُ مِنهَا إِلَى الشِّركِ الأَكبَرِ مِنَ الإِرَادَاتِ وَالأَقوَالِ وَالأَفعَالِ التِي لَم تَبلُغ رُتبَةَ العِبَادَةِ) .

فعليك بهذين الضابطين للشرك الاكبر والاصغر ، فانه مما يعينك علــى فهم الابواب السابقة واللاحقة من هذا الكتاب ، وبه يحصل

(باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله)

وقول الله تعالى (لَا تقمْ فِيهِ أَبَداً) الآيـــة .

وعن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال « نذر رجل ان ينحر إبلاً ببوانه ، فسال النبى صلى الله عليه وسلم فقال هَل كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِن أَوثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعبَدُ ؟ قالوا : لا ، قال فَهَل كَانَ فِيها عِيدٌ مِـــن أعيادِهم ؟ قالوا : لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوفِ بِنَذرِكَ ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذرٍ فِي مَعصِيَةِ اللهِ وَلَا فِيمَا لَا يَملِكُ ابنُ آدَمَ .

رواه ابو داود واسناده على شرطهمـــا .

فيـــه مسائـــل

الاولى : تفسير قوله (لَا تقم فِيهِ أَبداً) .

الثانية : ان المعصية قد تؤثر فى الارض ، وكذلك الطاعـــة .

الثالثة : رد المسالة المشكلة الى المسالة البيِّنة ليزول الاشكال .

الرابعة : استفصال المفتى اذا احتاج الى ذلك .

لك الفرقان بين الامور التى يكثر اشتباهها والله المستعان .

(باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله).

ما أحسن اتباع هذا الباب بالباب الذى قبله فالذى قبله من المقاصد ، وهذا من الوسائل ، ذاك من باب الشرك الاكبر ، وهذا من وسائل الشرك القريبة فان المكان الذى يذبح فيه المشركون لالهتهم تقربـــا اليها وشركا بالله قد صار مشعرا من مشاعر الشرك ، فاذا ذبح فيه المسلم ذبيحة ولو قصدها لله فقد تشبه بالمشركين وشاركهم فى مشعرهم ، والموافقة الظاهرة تدعو الى الموافقة الباطنة والميل اليهم

الخامسة : ان تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به اذا خلا من الموانع .

السادسة : المنع منه اذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله .

السابعة : المنع منه اذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله .

الثامنة : انه لا يجوز الوفاء بما نذر فى تلك البقعة لانه معصية .

التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين فى اعيادهم ، ولو لم يقصده .

العاشرة : لا نذر فى معصية .

الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك

(باب من الشرك النذر لغير الله)

وقول الله تعالى (يُوفُونَ بِالنَّذرِ) .

وقوله (وَمَا أَنفَقتُم مِن نَفَقَةٍ أَو نَذَرتُم مِن نَذرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعلَمُهُ) .

وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَن نَذَر أَن يُطِيعَ اللَّهَ فَليُطِعهُ ، وَمَن نَذَرَ أَن يَعصِيَ اللهَ فَلاَ يَعصِهِ » .

ومن هذا السبب نهى الشارع عن مشابهة الكفار فى شعارهم واعيادهم وهيئاتهم ولباسهم وجميع ما يختص بهم ابعادا للمسلمين عن الموافقة لهم فى الظاهر التى هى وسيلة قريبة للميل والركون اليهم ، حتى انه نهى عن الصلاة النافلة فى اوقات النهى التى يسجد المشركون فيها لغير الله خوفا من التشبه المحذور .

فيـــه مسائـــل

الاولى : وجوب الوفــاء بالنــذر .

الثانية : اذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه الى غيره شرك .

الثالثة : ان نذر المعصية لا يجوز الوفاء بـــه .

(باب من الشرك الاستعاذة بغير الله)

وقول الله تعالى : (وَانَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُم رَهَقـــاً) .

وعن خولة بنت حكيم رضى الله عنها قالت : سمعتُ رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَن نَزَلَ مَنزِلاً ، فَقَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ،لَم يَضِرهُ شَيءٌ حَتَّى يَرحَلَ مِن مَنزِلِهِ ذَلِكَ، رواه مسلـــــــم .

(باب من الشرك النذر لغير الله)

(باب من الشرك الاستعاذة بغير الله)

فيـــه مسائـــل

الاولى : تفسير آيـــة الجـــن .

الثانية : كونه من الشـــرك .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث لان العلماء يستدلون به على ان كلمات الله غير مخلوقة ، قالوا لان الاستعاذة بالمخلوق شـــرك

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

متى فهمت الضابط السابق فى حد الشرك الاكبر (١) وهو ان

(١) تقـــــدم ص ٤٣ .

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصـــاره .

الخامسة : أن كون الشىء يحصل به منفعة دنيوية ، من كف شر او جلب نفع لا يدل على انه ليس من الشرك .

(باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره)

وقول الله : (وَلَا تَدعُ مِن دُونِ اللَّـــهِ مَا لَا يَنفَعُـكَ وَلَا يَضُرُّكَ ، فَإِن فَعَلتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظالِمِينَ.وَإِنْ يَمسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُـــوَ) الآيـــة .

وقوله : (فَابتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزقَ وَاعبُدُوهُ) الآية .

وقوله : (وَمَن أَضَلُّ مِمَّن يَدعُو مِن دُونِ اللّهِ مَن لَا يَستَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ) الآيتين .

وقوله : (أَمَّن يُجِيبُ المُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكشِفُ السُّوءَ) .

وروى الطبرانى باسناده : انه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين فقال بعضهم قوموا بِنَا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم مِن هذا المنافق فقال النبى صلى الله عليه وسلـــم: إِنَّهُ لَا يُستَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُستَغَاثُ بِاللّهِ .

(من صرف شيئا من العبادة لغير الله فهو مشرك) .

فهمت هذه الابواب الثلاثة التى وَالَى المصنِّفُ بيانها .

فان النذر عبادة مدح الله الموفين به ، وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بالوفاء بنذر الطاعة ، وكل أمر مدحه الشارع او اثنى على مـــن قام به أو أمر به فهو عبـــادة .

فان العِبَادَةُ (اسمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرضَاهُ مِنَ الأَعمَالِ وَالأَقوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ) والنذر من ذلك .

وكذلك أمر الله بالاستعاذة به وحده من الشرور كلها ، وبالاستغاثة

فيـــــه مسائـــــل

الاولى : ان عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العامّ على الخـــــاص .

الثانية : تفسير قوله (وَلَا تَدعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُـــــرُّكَ) .

الثالثة : ان هذا هو الشرك الاكبـــــر .

الرابعة : ان اصلح الناس لو يفعله ارضاء لغيره صار مـــن الظالميـــــــن .

الخامسة : تفسير الآية التى بعدهـــــا .

السادسة : كون ذلك لا ينفع فى الدنيا مع كونه كفرا .

السابعة : تفسيـــر الآية الثالثة .

الثامنة : ان طلب الرزق لا ينبغى إلا من الله ، كما ان الجنة لا تطلـــب الا منـــــه .

التاسعة : تفسير الآية الرابعة .

العاشرة : انه لا اضل ممن دعا غير الله .

الحادية عشرة : انه غافل عن دعاء الداعى لا يدرى عنه .

الثانية عشرة : ان تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعـــى وعداوتـــه لـــه .

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو .

به فى كل شدة ومشقة ، فهذه اخلاصها لله ايمان وتوحيد وصرفهـــا لغير الله شرك وتنديـــــد .

والفرق بين الدعاء والاستغاثة ان الدعاء عام فى كل الاحـــوال

الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبـــادة .

الخامسة عشرة : ان هذه الامور هى سبب كونه اضل الناس .

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة .

السابعة عشرة : الامر العجيب وهو اقرار عبدة الاوثان بانه لا يجيب المضطر الا الله ، ولاجل هذا يدعونه فى الشدائد مخلصين لـــــه الديـــــن .

الثامنة عشرة : حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمـــى التوحيد والتادب مـــع الله .

(باب قول الله تعالى)

(أَيشرِكُونَ مَا لَا يَخلُقُ شَيئاً وَهُم يُخلَقُون ، وَلَا يَستَطِيعُونَ لَهُم نَصــــراً) الآيــــــة .

وقوله : (وَالذِينَ تَدعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَملِكُونَ مِن قِطمِيرٍ) الاية .

والاستغاثة هى الدعاء لله فى حالة الشدائد ، فكل ذلك يتعين اخلاصه لله وحده ، وهو المجيب لدعاء الداعين المفرج لكربات المكروبين ، ومن دعا غيره من نبى او ملك او ولى او غيرهم او استغاث بغيـــر الله فيما لا يقدر عليه الا الله فهو مشرك كافر ، وكما انه خرج مـــن الدين فقد تجرد ايضا من العقل ، فان احدا من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة لا عن نفسه ولا عن غيره بل الكل مفتقر الى الله فى كل شؤونهـــــم .

(باب قول الله تعالى)

(أَيُشرِكُونَ مَا لَا يَخلُقُ شَيئاً وَهُم يُخلَقُونَ)

هذا شروع فى براهين التوحيد وادلته ، فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليس لغيـــره .

وفى الصحيح عن انس قال : « شُجَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يوم أُحُدٍ وكسرت رباعيته ، فقال: كَيفَ يُفلِحُ قَومٌ شَجُّوا نَبيَّهُم ؟ فنزلت: (لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ) .

وفيه عن ابن عمر رضى الله عنهما : انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا رفع راسه من الركوع فى الركعة الأخيرة مِن الفجر « اللَّهُمَّ العَن فُلَاناً وَفُلَاناً »: بعدما يقول : سَمِعَ اللهُ لمن حمده رَبَّنا ولك الحمد » فأنزل الله : (لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ) .

وفى رواية : يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام ، فنزلت (لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ) .

وفيه عن ابى هريرة رضى الله عنه ، قال قامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل عليه : (وَأَنذِر عَشِيرَتَكَ الأَقرَبِينَ) فقال : يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ،أو كلمة نحوها ــ اشتَرُوا أَنفُسَكُم لَا أُغنِي عَنكُم مِنَ اللهِ شَيئاً ، يَا عَبَّاسُ بنُ عَبدِ المطَّلِبِ لَا أُغنِي عَنكَ مِنَ اللهِ شَيئاً ، يَا صَفِيَّةُ عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم،لَا أُغنِي عَنكِ مِنَ اللهِ شَيئاً ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِن مَالِي مَا شِئتِ لَا أُغنِي عَنكِ مِنَ اللهِ شَيئاً .

(فيه مسائل)

الاولى : تفسير الآيتين .

الثانية : قصة احد .

فتقدم أن التوحيدين . توحيد الربوبية وتوحيد الاسماء والصفات من اكبر براهينه واضخمها فالمتفرد بالخلق والتدبير ، والمتوحد فى الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذى لا يستحق العبادة سواه

وكذلك من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين ، ومن

الثالثة : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الاولياء يؤمنون فى الصـــــــلاة .

الرابعة : ان المدعو عليهم كفـــــار .

الخامسة : انهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار منها : شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم .

السادسة : انزل الله عليه فى ذلك (لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَيء) .

السابعة : قوله (أَو يَتُوب عَلَيهِم أَو يُعَذِّبهُم) فتابَ عليهم فآمنوا .

الثامنة : القنوت فى النـــوازل .

التاسعة : تسمية المدعو عليهم فى الصلاة بأسمائهم واسماء آبائهم

العاشرة : لعن المعين فى القنوت .

الحادية عشرة : قصته صلى الله عليه وسلم لما انزل عليه (وَأَنذِر عَشِيرَتَـكَ الأَقرَبِينَ) .

عبد مع الله فان جميع ما يعبد من دون الله من ملك وبشر ومـــن شجر وحجر وغيرها كلهم فقراء الى الله ، عاجزون ليس بيدهـــم من النفع مثقال ذرة ، ولا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكـــون ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، والله تعالى هو الخالـــق لكل مخلوق وهو الرازق لكل مرزوق المدبر للامور كلها الضار النافع المعطى المانع الذى بيده ملكوت كل شىء واليه يرجع كل شىء وله يقصد ويصمد ويخضع كل شـــىء .

فأى برهان أعظم من هذا البرهان الذى اعاده الله وأبداه فى مواضع كثيرة من كتابه وعلى لسان رسوله ، فهو دليل عقلى فطرى كما انه دليل سمعى نقلى على وجوب توحيد الله وانه الحق وعلـــى بطـــلان الشـــرك .

الثانية عشرة : جده صلى الله عليه وسلم فى هذا الامر بحيث فعل مـــا نسب بسببه الى الجنون ، وكذلك لو يفعله مسلم الآن .

الثالثة عشرة : قوله للأبعدِ والأقرب « لَا أُغنِي عَنكَ مِنَ اللهِ شَيئاً » حتى قال « يَا فَاطِمَةُ بِنتَ مُحَمَّدٍ لَا أُغنِي عَنكِ مِنَ اللّٰهِ شَيئاً » فإذا صرَّح ـــ وهو سيد المرسلين ـــ بانه لا يغنى شيئا عن سيـــدة نساء العالمين ، وآمن الانسان انه لا يقول إلاَّ الحق ، ثم نظر فيما وقع فى قلوب خواص الناس اليوم ، تبيَّن له التوحيد وغربة الدين .

(باب قول الله تعالى)

(حَتَّى إِذَا فزعَ عَن قُلُوبِهِم قَالُوا : مَاذَا قَالَ رَبُّكُم ؟ قَالُوا : الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيــرُ) .

وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله

واذا كان اشرف الخلق على الاطلاق لا يملك نفع اقرب الخلق اليه وأمسهم به رحما فكيف بغيره ؟ فتبا لمن اشرك بالله وساوى به أحدا من المخلوقين ، لقد سلب عقله بعد ما سلب دينه .

فنعوت البارى تعالى وصفات عظمته وتوحده فى الكمال المطلق اكبر برهان على أنه لا يستحق العبادة الا هو .

وكذلك صفات المخلوقات كلها ، وما هى عليه مـــن النقص والحاجة والفقر الى ربها فى كل شؤونها ، وانه ليس لها من الكمال . الا ما اعطاها ربها من اعظم البراهين على بطلان الهية شيء منها .

فمن عرف الله وعرف الخلق اضطرته هذه المعرفة الى عبـــادة الله وحده ، واخلاص الدين له والثناء عليه ، وحمده وشكره بلسانه وقلبه واركانه وانصرف تعلقه بالمخلوقين خوفا ورجاء وطمعـــا والله اعلـــم .

عليه وسلم قال : إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ المَلَائِكَـــةُ بِأَجنِحَتِهَا خضعاناً لِقَولِهِ كَأَنَّهُ سِلسِلَةٌ عَلَى صَفوَانٍ ينفذهم ذَلِكَ ، حَتَّى إذا فَزِعَ عَن قُلُوبِهِم قَالُوا : مَاذَا قَالَ رَبُّكُم ؟ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَسمَعُهَا مُستَرِقُ السَّمعِ وَمُستَرِقُ السَّمعِ هَكَذَا بَعضُهُ فَوقَ بَعضٍ ، وَصَفَهُ سُفيَانُ بِكَفِّهِ ، فَحَرفَها وَبَدَّدَ بَينَ أَصَابِعِهِ فَيَسمَعُ الكَلِمَـــةَ فَيُلقِيهَا إِلَى مَن تَحتَهُ ، ثُمَّ يُلقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَن تَحتَهُ حَتَّى يُلقِيهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَو الكَاهِنِ ، فَرُبَّمَا أَدرَكَهُ الشِّهَابُ قَبلَ أَن يُلقِيَهَا . وَرُبَّمَا أَلقَاهَا قَبلَ أَن يُدرِكَهُ ، فَيَكذِبُ مَعَها مِائَةَ كِذبَةٍ ، فَيُقَالُ أَلَيسَ قَـــد قَالَ لَنَـــا يَومَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا : فَيُصَدَّقُ بِتِلكَ الكَلِمَةِ التي سُمِعَت مِـــنَ السَّمَـــاءِ) .

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَن يُوحِيَ بِالأَمرِ ، تَكَلَّمَ بِالوَحيِ أَخَذَت السَّمَوَاتُ مِنهُ رَجفَةٌ ــ أَو قالَ ــ رعدَة شَدِيدَةٌ ــ خَوفاً مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذا سَمِعَ ذَلِكَ أَهلُ السَّمَوَاتِ صُعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّداً ،

(باب قول الله تعالـــى)

(حتى اذا فزع عن قلوبهم)

وهذا ايضا برهان عظيم آخر على وجوب التوحيد وبطـــلان الشرك ، وهو ذكر النصوص الدالة على كبرياء الرب وعظمتـــه التى تتضاءل وتضمحل عندها عظمة المخلوقات العظيمة ، وتخضـــع له الملائكة والعالم العلوى والسفلى ولا تثبت افئدتهم عندما يسمعون كلامه او تتبدى لهم بعض عظمته ومجده ، فالمخلوقات باسرهـــا خاضعة لجلاله ، معترفة بعظمته ومجده خاضعة له خائفة منه ، فمن كان هذا شانه فهو الرب الذى لا يستحق العبادة او الحمد والثناء والشكر

فَيَكُونُ أَوَّلُ مَن يَرفَعُ رَأْسَهُ جِبرِيلُ فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِن وَحيِهِ بِمَا أَرَادَ ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبرِيلُ عَلَى المَلائكةِ : كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلائكَتُهَا : مَـــاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبرِيل ، فَيَقُولُ قَالَ : الحَقّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ . فَيَقُولُونَ كُلُّهُم مِثلَ مَا قَالَ جِبرِيلُ ، فَيَنتَهِي جِبرِيلُ بِالوَحيِ إِلَى حَيثُ أَمَرَهُ اللهُ عَـــزَّ وَجَـــلَّ) .

(فيـــه مسائـــل)

الاولى : تفسيـــر الآيـــة .

الثانية : ما فيها من الحجة على ابطال الشرك ، خصوصا من تعلق على الصالحين ، وهى الآية التى قيل انهـــا تقطع عروق شجـــرة الشرك مـــن القلـــب .

الثالثة : تفسير قولـــه (قَالُوا الحَقّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ) .

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك .

الخامسة : ان جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله ـــ قال كذا وكذا

السادسة : ذكر أن اول من يرفع راسه جبريـــل :

السابعة : انه يقول لأهل السموات كلهم لأنهم يسالونه .

الثامنة : ان الغشى يعمّ اهل السموات كلهم .

التاسعة : ارتجاف السموات لكـــلام الله .

العاشرة : ان جبريل هو الذى ينتهى بالوحى الى حيث امره الله .

الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين .

الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضـــا .

والتعظيم والتاله الا هو ، ومن سواه ليس له من هذا الحق شىء .

فكما أن الكمال المطلق والكبرياء والعظمة ونعوت الجلال والجمـــال

الثالثة عشرة : ارسال الشهب .

الرابعة عشرة : انه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وتارة يلقيها فى اذن وليه من الانس قبل أن يدركه .

الخامسة عشرة : كون الكاهن يصدق بعض الاحيان .

السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبه .

السابعة عشرة : انه لم يصدق كذبه الا بتلك الكلمة التى سمعت من السماء .

الثامنة عشرة : قبول النفوس الباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة .

التاسعة عشرة : كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها .

العشرون : اثبات الصفات خلافا للاشعرية المعطلة .

الحادية والعشرون : التصريح بأن تلك الرجفة والغشى خوفا من الله عز وجل .

الثانية والعشرون : انهم يخرون لله سجدا .

(باب الشفاعة)

وقول الله عز وجل : (وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا

المطلق كلها لله لا يمكن ان يتصف بها غيره ، فكذلك العبودية الظاهرة والباطنة كلها حقه تعالى الخاص الذى لا يشاركه فيه مشارك بوجه .

(باب الشفاعة)

انما ذكر المصنف الشفاعة فى تضاعيف هذه الابواب لان المشركين يبرّرون شركهم ودعاءهم للملائكة والأنبياء والاولياء بقولهم :

إلى رَبِّهِم لَيسَ لَهُم مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ) .

وقوله (قُل لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً) .

وقوله (مَن ذَا الذِي يَشفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإذنِهِ) .

وقوله (وَكَم مِن مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لاَ تُغنِي شَفَاعَتُهُم شَيئاً إِلاَّ مِن بَعدِ أَن يَأذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرضَى) .

وقوله « قُل ادعُوا الذِينَ زَعَمتُم مِن دُونِ اللهِ لاَ يَملِكُونَ مِثقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرضِ » . الآيتين .

قال ابو العباس : نفى الله عمّا سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى ان يكون لغيره ملك او قسط منه ، او يكون عوناً لله ، ولم يبق الا الشفاعة : فبين انها لا تنفع الا لمن اذن له الرب كما قال : « وَلاَ يَشفَعُـــونَ إِلاَّ لِمَن ارتَضَـــى » .

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، واخبر النبى صلى الله عليه وسلم : « أَنَّهُ يَأتِي فَيَسجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحمَدُهُ ــ لاَ يَبدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلاً ــ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : ارفَع رَاسَكَ ،

نحن ندعوهم ، مع علمنا انهم مخلوقون مملوكون ، ولكن حيث ان لهم عند الله جاها عظيما ومقامات عالية ندعوهم ليقربونا الى الله زلفى وليشفعوا لنا عنده ، كما يتقرب الى الوجهاء عند الملوك والسلاطــين ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم وادراك مآربهم .

وهذا من ابطل الباطل ، وهو تشبيه الله العظيم ملك الملــوك الذى يخافه كل أحد وتخضع له المخلوقات بأسرها بالملوك الفقــراء المحتاجين للوجهاء والوزراء فى تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم .

فابطل الله هذا الزعم ، وبين ان الشفاعة كلها له ، كما ان الملك كله له ، وانه لا يشفع عنده احد الا باذنه ، ولا يأذن الالمــن رضــى

وَقُل يُسمَع ، وَسَل تُعطَ ، وَاشفَع تُشَفَّع » . .

وقال أبو هريرة له صلى الله عليه وسلم « من اسعد الناس بشفاعتك ؟ قَالَ مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ خَالِصاً مِن قَلبِهِ » فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص باذن الله ، ولا تكون لمن اشرك بالله .

وحقيقته أن الله سبحانه هو الذى يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من اذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمـــــــود .

. فالشفاعة التى نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا اثبت الشفاعة باذنه فى مواضع ، وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم انها لا تكون الا لاهل التوحيد والاخلاص . ا هـ كلامـــه .

(فيـــه مسائـــــل)

الاولى : تفسيـــر الآيـــات .

الثانية : صفة الشفاعة المنفيـــة .

الثالثة : صفة الشفاعة المثبتـــة .

الرابعة : ذكر الشفاعة الكبرى ، وهى المقام المحمود .

قوله وعمله ، ولا يرضى الا توحيده واخلاص العمل له .

فبين ان المشرك ليس له حظ ولا نصيب من الشفاعة .

وبين ان الشفاعة المثبتة التى تقع باذنه انما هى الشفاعة لاهل الاخلاص خاصة وانها كلها منه ، رحمة منه ، وكرامة للشافـــــع ، ورحمة منه وعفوا عن المشفوع له ، وانه هو المحمود عليها فى الحقيقة، وهو الذى اذن لمحمد صلى الله عليه وسلم فيها واناله المقام المحمود.

فهذا ما دل عليه الكتاب والسنة فى تفصيل القول فى الشفاعة .

الخامسة : صفة ما يفعله صلى الله عليه وسلم وانه لا يبدأ بالشفاعة ، بل يسجد فاذا اذن له شفـــع .

السادسة : من اسعد الناس بهـــا .

السابعة : انها لا تكون لمن اشرك بالله .

الثامنة : بيـــان حقيقتهـــا .

باب قول الله تعالى (انك لا تهدى من احببت)

وفى الصحيح عن ابى المسيب عن ابيه قال لما حضرت ابـــا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن ابى امية وابو جهل . فقال لهيَـــا عَمِّ قُل لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ كَلِمَة أُحَاجٌّ لَكَ بِهَا عِندَ اللّهِ فَقَالا لَهُ : أَتَرغَبُ عَن مِلَّةِ عَبدِ المُطَّلِبِ ؟ فَأَعاد عليه النبى صلى الله عليه وسلم،فأعادا.فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم:لأَستَغفِرَنَّ لَكَ مَا لَم أُنهَ عَنكَ ، فانزل الله عز وجل (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالذِينَ آمَنُوا أَن يَستَغفِرُوا لِلمُشرِكِينَ) وانزل فى ابى طالب : (إِنَّكَ لاَ تَهدِي مَن أَحبَبتَ وَلِكنَّ اللهَ يَهدِى مَن يَشَـــاءُ) .

وقد ذكر المصنف رحمه الله كلام الشيخ تقى الدين فى هــــذا الموضع وهو كاف شاف .

فالمقصود فى هذا الباب ذكر النصوص الدالة على ابطال كـــل وسيلة وسبب يتعلق به المشركون بآلهتهم ، وانه ليس لها من الملك شىء ، لا استقلالا ، ولا مشاركة ، ولا معاونة ، ولا مظاهرة ، ولا من الشفاعة شىء . وانما ذلك كله لله وحده ، فتعين ان يكون المعبـــود وحـــــده .

فيـــــه مسائـــــل

الاولى : تفسير (إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَن أَحبَبتَ) الآيـــة .

الثانية : تفسير قوله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ) . الآية .

الثالثة : وهى المسألة الكبيرة تفسير قوله (قُل لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهَ) بخـــلاف ما عليه من يدعى العلـــم .

الرابعة : ان ابا جهل ومن معه يعرفون مراد النبى صلى الله عليه وسلم اذا قال للرجل (قل لا اله الا الله) فقبح الله مَن أبو جهلٍ أعلمُ منـــه بأصـــل الاســـلام .

الخامسة : جده صلى الله عليه وسلم ومبالغته فى اسلام عمه .

السادسة : الرد على من زعم اسلام عبد المطلب واسلافه .

السابعة : كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يغفر له ، بل نهي عن ذلك .

الثامنة : مضرة اصحاب السوء على الانســـان .

التاسعة : مضرة تعظيم الاسلاف والاكابـــر .

العاشرة : الشبهة للمبطلين فى ذلك لاستدلال ابى جهل بذلك .

الحادية عشرة : الشاهد لكون الاعمال بالخواتيم لانه لو قالها لنفعتـــــــه .

باب قول الله تعالى (إِنَّكَ لَا تَهدِي مَن أَحبَبتَ)

وهذا الباب ايضا نظير الباب الذى قبله ، وذلك انه اذا كـــان صلى الله عليه وسلم هو افضل الخلق على الاطلاق واعظمهم عند الله جاها واقربهم اليه وسيلة لا يقدر على هداية من احب هداية التوفيق . وانما الهداية كلها بيد الله فهو الذى تفرد بهداية القلوب كما تفرد بخلق

الثانية عشرة : التأمل فى كبر هذه الشبهة فى قلوب الضالين لان فى القصة انهم لم يجادلوه الا بها مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره ، فلاجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها .

(باب ما جاء ان سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو فى الصالحين)

وقول الله عز وجل (يَا أَهلَ الكِتَابِ لَا تغلُوا فِى دِينِكُم)

وفى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى : (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم وَلَا تَذَرُنَّ وُدّاً ، وَلَا سُوَاعاً ، وَلَا يَغُوثَ ، وَيَعُوقَ ، وَنَسراً) قال: هَذِهِ أَسمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِن قَومِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكوا أَوحَى الشَّيطَانُ إِلَى قَومِهِم أَن انصُبُوا إِلَى مَجَالِسِهِم التِي كَانُوا يَجلِسُونَ فِيهَا أَنصَاباً وَسَمُّوهَا بِأَسمَائِهِم فَفَعَلُوا وَلَم تُعبَد حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولئكَ وَنُسِيَ العِلمُ عُبِدَت » .

وقال ابن القيم ــ قال غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .

وعن عمر ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ــ « لاَ تُطرُونِي كَمَا أَطرَت النَّصَارَى ابنَ مَريَمَ إِنَّما أَنَا عَبدٌ ــ فَقُولُوا عَبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»اخرجــاه .

المخلوقات فتبين انه الاله الحق .

واما قوله تعالى « وَإِنَّكَ لَتَهدِي إِلَى صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ » .

فالمراد بالهداية هنا هداية البيان ، وهو صلى الله عليه وسلــم المبلغ عن الله وحيه الذى اهتدى به الخلق .

(باب ما جاء ان سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو فى الصالحين)

والغلو هو مجاوزة الحد بأن يجعل للصالحين من حقوق اللــــه

وقال ـــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكُمْ وَالغُلُوْ فَإِنَّما أَهلَكَ مَن كَانَ قَبلَكمُ الغُلُــوُّ » .

ولمسلم عن مسعود ـــ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ـــ « هَلَكَ المُتَنَطِّعُون قالها ثلاثـــا .

(فيـــه مسائـــــل)

الاولى : ان من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربـــــة الاسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب .

الثانية : معرفة أول شرك حدث على وجه الارض انه بشبهـــة الصالحين .

الثالثة : اول شيء غير به دين الانبياء وما سبب ذلك مع معرفة ان الله ارسلهـــــــم .

الرابعة : قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها .

الخامسة : ان سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل .

فالاول محبـــة الصالحين .

والثانى فعل أناس من أهل العلم والدين شيئا أرادوا به خيرا فظن من بعدهم انهم ارادوا به غيـــره .

الخاصة به شيء ، فان حق الله الذى لا يشاركه فيه مشارك ، هـــــو الكمال المطلق ، والغنى المطلق والتصرف المطلق ، من جميع الوجوه، وانه لا يستحق العبادة والتاله أحد ســـواه .

فمن غلا بأحد من المخلوقين حتى جعل له نصيبا من هذه الاشياء فقد ساوى به رب العالمين ، وذلك أعظم الشرك .

ومن رفع أحدا من الصالحين فوق منزلته التى انزله الله بهـــا

السادسة : تفسير الآية التى فى سورة نوح .

السابعة : جِبِلَّة الآدمى فى كون الحق ينقص فى قلبه والباطل يزيد.

الثامنة : فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب للكفر .

التاسعة : معرفة الشيطان بما تؤول اليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل .

العاشرة : معرفة القاعدة الكلية وهى النهى عن الغلو ومعرفة ما يؤول اليه .

الحادية عشرة : مضرة العكوف على القبر لاجل عمل صالح .

الثانية عشرة : معرفة النهى عن التماثيل والحكمة فى ازالتها .

الثالثة عشرة : معرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة اليها مع الغفلة عنها .

فقد غلا فيه وذلك وسيلة الى الشرك وترك الدين .

والناس فى معاملة الصالحين ثلاثة اقسام .

اهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل .

واهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التى انزلهم الله بها .

واهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم ويقومون بحقوقهم الحقيقية ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم .

والصالحون ايضا يتبرؤون من ان يَدَّعُوا لأنفسهم حقاً من حقوق ربهم الخاصة ، كما قال الله عن عيسى صلى الله عليه وسلم « سُبحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيسَ لِي بِحَقٍّ » .

واعلم ان الحقوق ثلاثة .

الرابعة عشرة : وهى اعجب واعجب قراءتهم اياها فى كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام ، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح افضل العبادات ، فاعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال .

الخامسة عشرة : التصريح بأنهم لم يريدوا الا الشفاعة .

السادسة عشرة : ظنهم ان العلماء الذين صوروا الصور ارادوا ذلك .

السابعة عشرة : البيان العظيم فى قوله « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى ابنَ مَرْيَمَ » فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين .

الثامنة عشرة : نصيحته ايانا بهلاك المتنطعين .

التاسعة عشرة : التصريح بأنها لم تعبد حتى نسى العلم ، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده .

العشرون : ان سبب فقد العلم موت العلماء .

حَقٌّ خَاصٌّ لِلَّهِ لا يشاركه فيه مشارك وهو التأله له وعبادته وحده لا شريك له ، والرغبة ، والانابة اليه حباً وخوفاً ورجاءً.

وحَقٌّ خَاصٌّ لِلرُّسُلِ وهو توقيرهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة

وَحَقٌّ مُشْتَرَكٌ وهو الايمان بالله ورسله ، وطاعة الله ورسله ، ومحبة الله ومحبة رسله ، ولكن هذه لله أصلا وللرسل تبعا لحق الله.

فأهل الحق يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة فيقومون بعبودية الله واخلاص الدين له ، ويقومون بحق رسله وأوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم : والله اعلم .

باب ماجاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف اذا عبده

فى الصحيح عن عائشة « ان ام سلمة ذكرت لرسول الله صلى عليه وسلم كنيسة راتها بارض الحبشة وما فيها من الصور فقال: أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِم الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَو العَبدُ الصَّالِحُ بَنَوا عَلَى قَبرِهِ مَسجِداً وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلكَ الصُّوَرَ. أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلقِ عِندَ اللهِ » فَهَؤُلاء جَمَعُوا بَينَ الفِتنَتَينِ ، فِتنَةِ القُبُورِ ، وَفِتنَةِ التَّمَاثِيلِ .

ولهما عنها قالت « لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خيمصةً له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك: لَعنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ. يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك ابرز قبره غير انه خشى ان يتخذ مسجدا » اخرجاه .

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس وهو يقول (إِنِّي أَبرَأُ إِلَى اللهِ أَن يَكُونَ لِي مِنكُم خَلِيلٌ فَإِنَّ اللَّهَ قَد اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبرَاهِيمَ خَلِيلاً وَلَو كُنتُ مُتَّخِذاً مِن أُمَّتِي خَلِيلاً لاتَّخَذتُ أَبَا بَكرٍ خَلِيلاً ، أَلاَ وَانَّ مَن كَانَ قَبلَكُم

باب ماجاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف اذا عبده

باب ما جاء ان الغلو فى قبور الصالحين يصيرها اوثانا تعبد من دون الله .

ما ذكر المصنف فى البابين يتضح بذكر تفصيل القول فيما يفعل عند قبور الصالحين وغيرهم .

كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِـدَ فَإِنِّي أَنهَاكُم عَن ذَلِـــكَ) .

فقد نهى عنه آخر حياته ، ثم انه لعن ــ وهو فى السياق ــ من فعله ، والصلاة عندها من ذلك وان لم يبن مسجد وهو معنى قوله « خشى ان يتخذ مسجداً » فان الصحابة لم يكونوا ليبنوا حــول بره مسجدا ، وكل موضـع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجـدا ، ن كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا ، كما قال صلى الله عليه وسلم جُعِلَت لِــيَ الأَرضُ مَسجِداً وَطَهُــوراً » .

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا : إِنَّ مِن شِرَارِ النَّاسِ مَن تُدرِكُهُم السَّاعَةُ وَهُم أَحيَاءُ ، وَالذِينَ يَتَّخِذُونَ لقُبُورِ مَسَاجِدَ » ورواه ابو حاتم فى صحيحه

وذلك ان ما يفعل عندها نوعان : مَشرُوعٌ وَمَمنُوعٌ .

أَمَّا المَشرُوعُ فهو ما شرعه الشارع من زيارة القبور على الوجه لشرعى من غير شد رحل ، يزورها المسلم متبعا للسنة فيدعـــو لاهلها عموما ولاقاربه ومعارفه خصوصا فيكون محسنا اليهم بالدعاء هم وطلب العفو والمغفرة والرحمة لهم ، ومحسنـــا الى نفســه باتباع لسنة وتذكر الآخرة والاعتبار بها والاتعـــاظ .

وَأَمَّا المَمنُــوعُ فانــه نوعـــان :

أَحَدُهُمَا محرم ووسيلة للشرك كالتمسح بها والتوسل الى الله باهلها ، والصلاة عندها ، وكاسراجها والبناء عليها ، والغلو فيهــا وفى اهلها اذا لم يبلغ رتبة العبـــادة .

وَالنَّوعُ الثَّانِي شرك اكبر كدعاء اهل القبور والاستغاثة بهــم

فيـــه مسائـــل

الاولى : ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله عند قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل .

الثانية : النهى عن التماثيل وغلظ الامر فى ذلك .

الثالثة : العبرة فى مبالغته صلى الله عليه وسلم فى ذلك كيف بين لهم هذا اولا ، ثم قبل موته بخمس قال ما قال ، ثم لما كان فى السياق لم يكتف بما تقـــدم .

الرابعة : نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر .

الخامسة : انه من سنن اليهود والنصارى فى قبور انبيائهم .

السادسة : لعنه اياهم على ذلـــك .

السابعة : ان مراده تحذيره ايانا عن قبره .

الثامنة : العلة فى عدم ابراز قبـــره .

التاسعة : فى معنى اتخاذها مسجدا .

العاشرة : انه قرن بين من اتخذها مسجدا وبين من تقـــوم عليهم الساعة ، فذكر الذريعة الى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .

الحادية عشرة : ذكره فى خطبته قبل موته بخمس الرد علـــى الطائفتين اللتين هما اشر اهل البدع ، بل اخرجهم بعض اهل العلم

وطلب الحوائج الدنيوية والاخروية منهم ، فهذا شرك أكبر ، وهـــو عين ما يفعله عباد الاصنام مع أصنامهم .

ولا فرق فى هذا بين ان يعتقد الفاعل لذلك انهم مستقلـــون فى تحصيل مطالبه ، أو متوسطون الى الله ، فان المشركين يقولون « مَا نَعْبُدُهُم إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى » و « يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ

من الثنتين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية ، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور وهم اول من بنى عليها المساجد .

الثانية عشرة : ما بلى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من شــدة النــزع .

الثالثة عشرة : ما اكرم به من الخلــة .

الرابعة عشرة : التصريح بأنها اعلى من المحبة .

الخامسة عشرة : التصريح بأن الصديق افضل الصحابة .

السادسة عشرة : الاشارة الى خلافته .

باب ما جاء أن الغلو فى قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

روى مالك فى الموطأ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اللَّهُمَّ لاَ تَجعَل قَبرِيَ وَثَناً يُعبَدُ. اشتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَومٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ) ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عــن مجاهد (أَفَرَأَيتُمُ اللاَّتَ وَالعُزَّى) قال : كَانَ يَلتُّ لَهُم السَّوِيقَ ، فَمَاتَ ، فَعَكَفُــوا عَلَــى قَبــرِهِ .

اللَّــهِ » .

فمن زعم انه لا يكفر من دعا اهل القبور حتى يعتقــد انهــم مستقلون بالنفع ودفع الضرر ، وان من اعتقد ان الله هو الفاعـــل وانهم وسائط بين الله وبين من دعاهم واستغاث بهم (١) يكفر .

من زعم ذلك فقد كذب ما جاء به الكتــاب والسنة ، واجمعــت

---

(١) لعله ــ لم يكفر .

وكذا قال ابو الجوزاء عن ابن عباس : كَانَ يَلتُّ السَّوِيقَ لِلحَاجِّ .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج.رواه اهل السنن .

(فيه مسائل)

الاولى : تفسير الاوثان .

الثانية : تفسير العبادة .

الثالثة : انه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ الا مما يخاف وقوعه .

الرابعة : قرنه بهذا اتخاذ قبور الانبياء مساجد .

الخامسة : ذكر شدة الغضب من الله .

السادسة : وهى من اهمها معرفة صفة عبادة اللات التى هى من اكبر الاوثان .

السابعة : معرفة انه قبر رجل صالح .

الثامنة : انه اسم صاحب القبر ، وذكر معنى التسمية .

التاسعة : لعنه زوارات القبور .

العاشرة : لعنه من اسرجها .

عليه الامة من ان من دعى غير الله فهو مشرك كافر فى الحالين المذكورين سواء اعتقدهم مستقلين او متوسطين .

وهذا معلوم بالضرورة من دين الاسلام .

فعليك بهذا التفصيل الذى يحصل به الفرقان فى هذا الباب المهم الذى حصل به من الاضطراب والفتنة ما حصل ، ولم ينج من فتنته الا من عرف الحق واتبعه .

باب ما جاء فى حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل الى الشرك

وقول الله تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّم) . الآيـــة .

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ تَجْعَلُوا بُيوتَكُم قُبُوراً وَلاَ تَجعَلُوا قَبرِيَ عِيداً وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُم تَبلُغُنِي حَيثُ كُنتُم » رواه ابو داود باسناد حسن ورواته ثقات

وعن عليّ بن الحسين رضى الله عنه (انه راى رجلا يجيء الـى فرجة كانت عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فيدخل فيها فيدعو ، فنهــــــاه .

وقال : ألا احدثكم حديثاً سمعته من ابى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لاَ تَتَّخِذُوا قَبرِيَ عِيداً ، وَلاَ بُيوتَكُم قُبُوراً ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسلِيمَكُم يَبلُغُنِي حَيثُ كُنتُم » رواه فى المختارة .

(فيـــه مسائــل)

الاولى : تفسير آية براءة .

باب ما جاء فى حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل الى الشرك

من تأمل نصوص الكتاب والسنة فى هذا الباب راى نصوصـا كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوى التوحيد وينميه ويغذيه ، مـن الحث على الانابة الى إلله وانحصاره تعلق القلب بالله رغبة ورهبة وقوة الطمع بفضله واحسانه والسعى لتحصيل ذلك والى التحـرر من رق المخلوقين وعدم التعلق بهم بوجه من الوجوه أو الغلـو فى أحد منهم . والقيام التام بالاعمال الظاهرة والباطنـة وتكميلهـا ،

الثانية : ابعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد .

الثالثة : ذكر حرصه علينا ورافته ورحمته .

الرابعة : نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، مع أن زيارته من افضل الاعمال .

الخامسة : نهيه عن الاكثار من الزيارة .

السادسة : حثه على النافلة فى البيت

السابعة : انه متقرر عندهم انه لا يصلى فى المقبرة .

الثامنة : تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وان بعد فلا حاجة الى ما يتوهمه من أراد القرب .

التاسعة : كونه صلى الله عليه وسلم فى البرزخ تعرض أعمال امته فى الصلاة والسلام عليه .

وخصوصا حث النصوص على روح العبودية وهو الاخلاص التام لله وحده ..

ثم فى مقابلة ذلك نهى عن اقوال وافعال فيها الغلو بالمخلوقين

ونهى عن التشبه بالمشركين لانه يدعو الى الميل اليهم .

ونهى عن اقوال وافعال يخشى ان يتوسل بها الى الشرك كل ذلك حماية للتوحيد .

ونهى عن كل سبب يوصل الى الشرك ، وذلك رحمة بالمؤمنين ليتحققوا بالقيام بما خلقوا له من عبودية الله الظاهرة والباطنة وتكميلها لتكمل لهم السعادة والفلاح .

وشواهد هذه الامور كثيرة معروفة .

باب ما جاء أن بعض هذه الامة تعبد الاوثان

وقوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ يُؤمِنُونَ بِالجِبتِ وَالطَّاغُوتِ » .

وقوله تعالى : « قُل هَل أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيهِ وَجَعَلَ مِنهُم القِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ وَعَبَدَةَ الطَّاغُوتِ ».

وقوله تعالى : « قَالَ الذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمرِهِم ، لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِم مَسجِداً » .

عن ابى سعيد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَن كَانَ قَبلَكُم ، حَذوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ حَتَّى لَو دَخَلُوا جُحرَ ضَبٍّ لَدَخَلتُمُوه.قالوا يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قَالَ فَمَن ؟ اخرجاه .

ولمسلم عن ثوبان رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرضَ ، فَرَأَيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَانَّ أُمَّتِي سَيَبلُغُ مُلكُهَا مَا زَوَى لِيَ مِنهَا ، وَأُعطِيتُ الكَنزَينِ الأَحمَرَ وَالأَبيَضَ،

باب ما جاء أن بعض هذه الامة تعبد الاوثان

مقصود هذه الترجمة الحذر من الشرك والخوف منه ، وانه أمر واقع فى هذه الامة لا محالة ، والرد على من زعم ان من قال : لا اله الا الله وتسمى بالاسلام انه يبقى على اسلامه ولو فعل ما ينافيه من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم ، وسمى ذلك توسلا لا عبادة فان هذا باطل .

فان الوثن اسم جامع لكل ما عبد من دون الله لا فرق بين

وَإِنِّي سَأَلتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَن لاَ يُهلِكَهَا بِسُنَّةٍ بِعَامَّةٍ ، وَأَن لاَ يُسَلِّطَ عَلَيهِم عَدُوّاً مِن سِوَى أَنفُسِهِم فَيَستَبِيحَ بَيضَتَهُم ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيتُ قَضَاءً فَإِنَّه لاَ يُرَدُّ ، وَإِنِّي أَعطَيتُكَ لِأُمَّتِكَ أَن لاَ أُهلِكَهُم بِسُنَّةٍ بِعَامَّةٍ وَأَن لاَ أُسَلِّطَ عَلَيهِم عَدُوّاً مِن سِوَى أَنفُسِهِم فَيَستَبِيحَ بَيضَتَهُم، وَلَو اجتَمَعَ عَلَيهِم مَن بِأَقطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ بَعضُهُم يُهلِكُ بَعضاً وَيَسبِي بَعضُهُم بَعضاً » .

ورواه البرقانى فى صحيحه ، وزاد « وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّين ، وَإِذَا وَقَع عَلَيهِم السَّيفُ لَم يُرفَع إِلَى يَومِ القِيَامَةِ ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلحَقَ حَيٌّ مِن أُمَّتِي بِالمُشرِكِينَ ، وَحَتَّى تَعبُدَ فِئَامٌ مِن أُمَّتِي الأَوثَانَ ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاَثُونَ كُلُّهُم يَزعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّين ، لاَ نَبِيَّ بَعدِي ، وَلاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنصُورَةٌ لاَ يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم وَلاَ مَن خَالَفَهُم حَتَّى يَأتِيَ أَمرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى » .

« فيه مسائل »

الاولى : تفسير آية النساء .

الثانية : تفسير آية المائدة .

الثالثة : تفسير آية الكهف .

الرابعة : وهى اهمها ، ما معنى الايمان بالجبت والطاغوت فى هذا الموضع هل هو اعتقاد قلب او هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها .

الاشجار والاحجار والابنية ، ولا بين الانبياء والصالحين والطالحين فى هذا الموضع وهو العبادة فانها حق الله وحده ، فمن دعا غير الله او عبده فقد اتخذه وثنا وخرج بذلك عن الدين ، ولم ينفعه انتسابه

الخامسة : قولهم ان الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين .

السادسة : وهى المقصود بالترجمة ان هذا لابد أن يوجد فى هذه الامة كما تقرر فى حديث أبى سعيد فى جموع كثيرة .

السابعة : تصريحه بوقوعها اعنى عبادة الاوثان فى هذه الامة.

الثامنة : العجب العجاب خروج من يدعى النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الامة ، وان الرسول حق، وان القرآن حق . وفيه ان محمدا خاتم النبيين ، ومع هذا يصدق فى هذا كله مع التضاد الواضح ، وقد خرج المختار فى آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة .

التاسعة : البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة .

العاشرة : الآية العظمى انهم مع قتلهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم .

الحادية عشرة : ان ذلك الشرط الى قيام الساعة .

الثانية عشرة : ما فيه من الآيات العظيمة ، منها اخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب وأخبر بمعنى ذلك ، فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال ، واخباره بأنه أعطى الكنزين ، واخباره باجابة دعوته لامته فى الاثنتين ، واخباره بأنه منع الثالثة ، واخباره بوقوع السيف ، وانه لا يرفع اذا وقع ، واخباره باهلاك بعضهم بعضا وسبى بعضهم بعضا وخوفه على أمته من الائمة المضلين وأخباره بظهور المتنبئين فى هذه الامة ، وأخباره ببقاء الطائفة المنصورة . وكل هذا وقع،

الى الاسلام ، فكم انتسب الى الاسلام من مشرك وملحد وكافر منافق. والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الاسامى والالفاظ التى لا حقيقة لها .

كما اخبر ، مع ان كل واحدة منها من ابعد ما يكون فى العقول .

الثالثة عشرة : حصر الخوف على امته من الائمة المضلين .

الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الاوثان .

(باب ما جاء فى السحر)

وقول الله تعالى : « وَلَقَد عَلِمُوا لِمَن اشتَرَاهُ مَالَه فِي الآخِرَةِ مِن خَلَاقٍ » وقوله : « يُؤمِنُونَ بِالجِبتِ وَالطَّاغُوتِ » .

قال عمر : « الجبت : السحر ، والطاغوت: الشيطان » .

وقال جابر : « الطواغيت : كهان ، كان ينزل عليهم الشيطان ، فى كل حى واحد » .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه : ان رسول الله صلى الله عليه قال : اجتَنِبُوا السَّبعَ المُوبِقَاتِ . قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشِّركُ بِاللهِ ، وَالسِّحرُ ، وَقَتلُ النَّفسِ التِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ ، وَأَكلُ الرِّبَاءوَأَكلُ مَالِ اليَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَومَ الزَّحفِ ، وَقَذفُ المُحصَنَاتِ الغَافِلاَتِ المُؤمِنَاتِ » .

وعن جندب مرفوعا : « حَدُّ السَّاحِرِ ضَربَةٌ بِالسَّيفِ » رواه الترمذى وقال الصحيح انه موقوف .

وفى صحيح البخارى عن بجالة بن عبدة قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ان اقتلو كل ساحر وساحرة ، قال : فقتلنا ثلاث سواحر»

وصح عن حفصة رضى الله عنها « انها امرت بقتل جارية لها

باب السحر ، وباب شىء من انواع السحر

وجه ادخال السحر فى ابواب التوحيد أن كثيرا من اقسامه لا يتأتى الا بالشرك والتوسل بالارواح الشيطانية الى مقاصد الساحر

سحرتها فقتلت » . وكذلك صح عن جندب :

قال احمد عن ثلاثة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

« فيــه مسائــل »

الاولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية النساء .

الثالثة : تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما .

الرابعة : ان الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الانس

الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهى .

السادسة : ان الساحر يكفر

السابعة : انه يقتل ولا يستتاب

الثامنة : وجود هذا فى المسلمين على عهد عمر . فكيف بعده؟

فلا يتم للعبد توحيد حتى يدع السحر كله قليله وكثيره .

ولهذا قرنه الشارع بالشرك ، فالسحر يدخل فى الشرك مــن جهتــين :

من جهة ما فيــه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم وربمــا تقرب اليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه .

ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله فى علمه وسلوك الطرق المفضية الى ذلك ، وذلك من شعب الشــــرك والكفر .

وفيه ايضا من التصرفات المحرمة ، والافعال القبيحة كالقتل ، والتفريق بين المتحابين ، والصرف ، والعطف ، والسعى فى تغييــر

باب بيان شىء من انواع السحر

قال احمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف عن حيان ابـــن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال « إِنَّ العِيَافَةَ وَالطرقَ وَالطِيَرَةَ مِنَ الجبتِ » .

قال عوف العيافة زجر الطير ، والطرق الخط يخط بـــالارض ، والجبت قال الحسن . رنة الشيطان . اسناده جيد .

ولأبى داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه المسند منه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن اقتَبَسَ شُعبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَد اقتَبَسَ شُعبَةً مِـــنَ السِّحرِ ، زَادَ مَا زَادَ » رواه أبو داود ، واسناده صحيح .

وللنسائى من حديث ابى هريرة « مَن عَقَدَ عُقدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَد سَحَرَ ، وَمَن سَحَر فَقَد أَشرَكَ ، وَمَن تَعَلَّقَ شَيئاً وُكِّلَ إِلَيهِ »

وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلـــم قال : « أَلاَ هَل أُنَبِّئُكُم مَا العَضَّةُ ؟ هِي النَّمِيمَةُ القَالَةُ بَينَ النَّاسِ » رواه مسلم.

ولهما عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحراً » .

((فيـــه مسائـــل))

الاولى : ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت .

الثانية : تفسير العيافة والطرق والطيرة .

العقول ، وهذا من افظع المحرمات ، وذلك من الشـــرك ووسائلـــه ولذلك تعين قتل الساحر لشدة مضرته وافساده .

ومن أنواعه الواقعة فى كثير من الناس النميمة لمشاركتهم للسحر

الثالثة : ان علم النجوم نوع من السحر .

الرابعة : ان العقد مع النفث من ذلك .

الخامسة : ان النميمة من ذلك .

السادسة : ان من ذلك بعض الفصاحة .

(باب ما جاء فى الكهان ونحوهم)

روى مسلم فى صحيحه عن بعض ازواج النبى صلى الله عليه وسلم قال: مَن أتى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَن شَيءٍ فَصَدَّقَهُ لَم تُقبَل لَهُ صَلَاةُ أَربَعِينَ يَوماً » .

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مَن أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَد كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّم » رواه أبو داود .

وللاربعة والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما ، عن « أبى هريرة : « مَن أَتَى عَرَّافاً أَو كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَد كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم » ولابى يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا .

وعن عمران بن حصين مرفوعا « لَيسَ مِنَّا مَن تَطَيَّرَ أَو تُطُيِّرَ لَهُ أَو تَكَهَّنَ أَو تُكُهِّنَ لَهُ أَو سَحَرَ أَو سُحِرَ لَهُ ، وَمَن أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَد كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم » رواه البزار باسناد جيد .

فى التفريق بين الناس وتغيير قلوب المتحابين وتلقيح الشرور .

فالسحر انواع ودركات بعضها اقبح واسفل من بعض .

(باب ما جاء فى الكهان ونحوهم)

اى من كل من يدعى علم الغيب بأى طريق من الطرق . وذلك ان

ورواه الطبرانى فى الاوسط باسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله « وَمَن أَتَى » الى آخره .

قال البغوى : العراف الذى يدعى معرفة الامور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك .

وقيل : هو الكاهن ، والكاهن هو الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل .

وقيل : الذى يخبر عما فى الضمير .

وقال ابو العباس بن تيمية : العراف اسم للكاهن ، والمنجم والرمال ونحوهم ، ممن يتكلم فى معرفة الامور بهذه الطرق .

وقال ابن عباس فى قوم يكتبون ابا جاد ، وينظرون فى النجوم ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق .

فيه مسائل

الاولى : انه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الايمان بالقرآن .

الثانية : التصريح بأنه كفر

الثالثة : ذكر من تكهن له .

الرابعة : ذكر من تطير له .

الخامسة : ذكر من سحر له .

الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب ، فمن ادعى مشاركة الله فى شىء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرها ، أو صدق من أدعى ذلك فقد جعل لله شريكا فيما هو من خصائصه ، وقد كذب الله ورسوله .

وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب الى الوسائط التى تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية ، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله فى علمه الذى اختص به .

السادسة : ذكر من تعلم ابــا جـــاد .

السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعراف .

باب ما جاء فى النشرة

عن جابر (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئلَ عَنِ النَّشرَةِ ؟ فقـال : هِيَ مِن عَمَلِ الشَّيطَانِ) . رواه أحمد بسند جيد وابو داود . وقال : سئل احمد عنها ؟ فقال ابن مسعود — يكره هذا كله .

وفى البخارى عن قتادة — قلت لابن المسيب رجل به طب أو يؤخذ عن امراته ايحل عنه أو ينشر ؟ قال لا بأس به ؟ انما يريدون بـه الاصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه ، انتهى .

وروى عن الحسن انه قال : لا يحل السحر الا ساحـر .

قال ابن القيم : النشرة حل السحر عن المسحور ، وهى نوعان :

حل بسحر مثله وهو الذى من عمل الشيطان . وعليه يحمل قول الحسن فيتقرب الناشر والمنتشر الى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور . والثانى : النشرة بالرقية والتعوذات والادوية والدعوات المباحة فهذا جائـز .

ومن جهة التقرب الى غيـر الله .

وفيه ابعاد الشارع للخلق عن الخرافات المفسـدة للاديـان والعقـول .

(باب النشرة)

وهو حل السحر عن المسحور ، ذكر فيه المصنف كلام ابن القيم فى التفصيل بين الجائز منه والممنوع ، وفيه كفاية .

« فيـــه مسائـــل »

الاولى : النهى عن النشرة .

الثانية : الفرق بين المنهى عنه والمرخص فيه مما يزيل الاشكال

باب ما جاء فى التطير

وقول الله تعالى (أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُم عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكثَرَهُم لَا يَعلَمُونَ)

وقوله (قَالُوا طَائِرُكُم مَعَكُم) الآية .

عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عنه وسلم قال : « لاَ عَدوَى وَلاَ طِيَرَةَ وَلاَ هَامةَ وَلاَ صفر » اخرجاه .

زاد مسلم ــ (وَلَا نَوءَ وَلَا غُولَ) .

ولهما عن انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاَ عَدوَى وَلاَ طِيَرَةَ وَيُعجِبُنِي الفَأَلُ · قالوا ــ وما الفأل قال: الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ » .

(بـــاب الطـــيرة)

وهو التشـاؤم بالطيور ، والاسماء ، والالفاظ ، والبقاع ، وغيرها، فنهى الشارع عن التطير وذم المتطيرين ، وكان يحب الفـــــأل ويكره الطيـــــرة .

والفرق بينهما : ان الفأل الحسن لا يدخل بعقيدة الانسان ولا بعقله وليس فيه تعليق القلب بغير الله بل فيه من المصلحة النشاط والسرور وتقوية النفـــوس على المطالب النافعـــة .

وصفة ذلك أن يعزم العبد على سفر او زواج او عقد من العقود او على حالة من الاحوال المهمة ثم يرى فى تلك الحال ما يسره او يسمع كلاما يسره مثل يا راشد او سالم او غانم ، فيتفاءل ويزداد طمعه

ولابى داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال (ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ـ أَحسَنُهَا الفَألُ وَلاَ ترد مُسلماً فَإِذَا رَأَىَ أَحَدُكُم مَا يَكرَهُ فَليَقُل ـ اللّهُمَّ لاَ يَأتِي بِالحَسَنَاتِ إِلاَّ أَنتَ وَلاَ يَدفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ أَنتَ ، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ) .

وله من حديث ابن مسعود مرفوعاً « الطِّيَرَةُ شِركٌ ، الطِّيَرَةُ شِركٌ ، وَمَا مِنَّا إِلاَّ ... وَلَكِنَّ اللهَ يُذهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ » رواه أبو داود والترمذى وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود .

ولاحمد من حديث ابن عمرو ـ مَن رَدَّتهُ الطِّيَرَةُ عَن حَاجَتِهِ فَقَد أَشرَكَ قالوا فما كفارة ذلك ؟ قال ـ أَن يَقُولَ اللّهُمَّ لاَ خَيرَ إِلاَّ خَيرُكَ ، وَلاَ طَيرَ إِلاَّ طَيرُكَ وَلاَ إِلَه غَيرُكَ » .

وله من حديث الفضل بن العباس « إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمضَاكَ أَو رَدَّكَ » .

فيه مسائل

الاولى : التنبيه على قوله (أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُم عِندَ اللهِ) مع قوله

فى تيسير ذلك الامر الذى عزم عليه ، فهذا كله خير وآثاره خير ، وليس فيه من المحاذير شىء .

واما الطيرة فانه اذا عزم على فعل شىء من ذلك من الامور النافعة فى الدين او فى الدنيا ، فيرى أو يسمع ما يكره اثر فى قلبه احد امرين ، احدهما اعظم من الآخر .

(أحدهما) أن يستجيب لذلك الداعى فيترك ما كان عازما على فعله أو بالعكس فيتطير بذلك وينكص عن الامر الذى كان عازما عليه ، فهذا كما ترى قد علق قلبه بذلك المكروه غاية التعليق وعمل عليه ، وتصرف ذلك المكروه فى ارادته وعزمه وعمله ، فلا شك انه على هذا الوجه اثر على ايمانه واخل بتوحيده وتوكله ، ثم بعد هذا لا تسأل

(طَائِرُكُم مَعَكُـــم) .

الثانية : نفـــى العـــدوى .

الثالثة : نفـــى الطيـــرة .

الرابعة : نفـــى الهامـــة .

الخامسة : نفـــى الصفـــر .

السادسة : ان الفأل ليس من ذلك ، بل مستحب .

السابعة : تفسيـــر الفـــأل .

الثامنة : ان الواقع فى القلوب من ذلك مع كراهته لا يضـــر بل يذهبه الله بالتوكــــل .

التاسعة : ذكر ما يقول من وجـــده .

العاشرة : التصريح بأن الطيرة شـــرك .

الحادية عشرة : تفسير الطيرة المذمومة .

عما يحدثه له هذا الامر من ضعف القلب ووهنه وخوفه من المخلوقين وتعلقه بالاسباب وبأمور ليست اسبابا ، وانقطاع قلبه من تعلقه بالله ، وهذا من ضعف التوحيد والتوكل ومن طرق الشرك ووسائله ، ومن الخرافات المفسدة للعقـــل .

الامر الثانى : ان لا يستجيب لذلك الداعى ولكنه يؤثر فى قلبه حزنا وهما وغما ، فهذا وان كان دون الاول لكنه شر وضرر علـــى العبد ، وضعف لقلبه وموهن لتوكله . وربما اصابه مكروه فظن انـــه من ذلك الامر فقوى تطيره ، وربما تدرج به الى الامر الاول .

فهذا التفصيل يبين لك وجه كراهة الشارع للطيرة وذمها ووجه منافاتها للتوحيد والتوكـــل .

(باب ما جاء فى التنجيم)

قال البخارى فى صحيحة : قال قتادة « خَلَقَ اللهُ هَذِه النُّجُومَ لِثَلاثٍ : زِينَةً لِلسَّمَاءِ وَرُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَعَلَامَاتٍ يُهتَدَى بِهَـا ، فَمَن تَأَوَّلَ فِيهَا غَيرَ ذَلِكَ أَخطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلمَ لَهُ بِهِ » انتهـــــى .

وكره قتادة تعلم منازل القمر ، ولم يرخص ابن عيينة فيه ، ذكره حــرب عنهمـا .

ورخص فى تعلم المنازل احمـد واسحاق .

وينبغى لمن وجد شيئا من ذلك وخاف أن تغلبه الدواعى الطبيعية أن يجاهد نفسه على دفعها ويستعين الله على ذلك ، ولا يركن اليها بوجه ليندفـع الشـر عنـــه .

(باب ما جاء فى التنجيم)

التنجيـــم نوعـــان :

نوع يسمى عِلمَ التَّأثِيرِ : وهو الاستدلال بالاحوال الفلكية علـى الحوادث الكونية فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله فى علم الغيب الذى انفرد به أو تصديق لمن ادعى ذلك ، وهذا ينافى التوحيد لما فيه مـن هذه الدعوى الباطلة ، ولما فيه من تعلق القلب بغير الله ولما فيه من فساد العقل ، لان سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والاديـــان .

النوع الثانى : عِلمَ التَّسيِيرِ وهو الاستدلال بالشمس والقمـر والكواكب على القبلة والاوقات والجهات ، فهذا النوع لا بأس بـه ، بل كثير منه نافع قد حث عليه الشارع اذا كان وسيلة الى معرفـة

وعن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ لاَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ مُدمِنُ الخَمرِ ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ . وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحرِ » رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه .

((فيــه مسائــل))

الاولى : الحكمة فى خلق النجـــوم .

الثانية : الرد على من زعم غير ذلك .

الثالثة : ذكر الخلاف فى تعلم المنازل .

الرابعة : الوعيد فيمن صدق بشىء من السحر ، ولو عــرف انـــه بــاطـــل .

(باب ماجاء فى الاستسقاء بالانواء)

وقول الله تعالى : (وَتَجعَلُونَ رِزقَكُم انَّكُم تَكذِبُونَ) .

وعن ابى مالك الاشعرى رضى الله عنه ـــ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أَربَعٌ فِي أُمَّتِي مِن أَمرِ الجَاهِلِيَّةِ لاَ يَترُكُونَهُنَّ ـــ الفَخرُ بِالأَحسَابِ وَالطَّعنُ فِي الأَنسَابِ والاستِسقَاءُ بِالنُّجُومِ ، وقال :

أوقات العبادات أو الى الاهتداء به فى الجهـــات .

فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه . وبين مـــا اباحه او استحبه أو اوجبه ، فالاول هو المنافى للتوحيد دون الثانـــى .

باب الاستسقاء بالنجوم

لما كان من التوحيد الاعتراف لله بتفرده بالنعم ودفع النقـــم ، واضافتها اليه قولا واعترافا واستعانة بهـــا على طاعته كان قـــول

النَائحَةُ إِذَا لَم تَتُبْ قَبلَ مَوتِهَا تُقَامُ يَومَ القِيَامَةِ وَعَلَيهَا سِربَالٌ مِن قَطِرَانٍ ، ودرعٌ مِن جَرَبٍ) رواه مسلم .

ولهما عن زيد بن خالد رضى الله عنه قال : « صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماءٍ كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس ، فقال: هَل تَدرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُم ؟ قالوا ــ الله ورسوله أعلم ، قال ــ قَالَ أَصبَحَ مِن عِبَادِي مُؤمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَن قَالَ ــ مُطِرنَا بِفَضلِ اللهِ وَرَحمَتِهِ ، فَذَلِكَ مُؤمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوكَبِ ، وَأَمَّا مَن قَالَ ــ مُطِرنَا بِنَوءِ كَذَا ، وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤمِنٌ بِالكَوكَب » .

ولهما من حديث ابن عباس معناه وفيه ــ قال بعضهم :

(لَقَد بِنَوءِ كَذَا وكذا . فأنزل الله هذه الآية) .

(فَلَا أُقسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) الى قوله ــ (تكذبون) .

« فيه مسائل »

الاولى : تفسير آية الواقعة .

الثانية : ذكر الاربع التى من امر الجاهلية .

الثالثة : ذكر الكفر فى بعضها .

الرابعة : أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة .

الخامسة : قوله « أَصبَحَ مِن عِبَادِي مُؤمِنٌ بِي وَكَافِرٌ » بسبب نزول النعمة .

السادسة : التفطن للايمان فى هذا الموضع .

السابعة : التفطن للكفر فى هذا الموضع .

القائل : مطرنا بنوء كذا وكذا ينافى هذا المقصود اشد المنافاة لاضافة المطر الى النوء .

والواجب اضافة المطر وغيره من النعم الى الله فانه الذى تفضل

الثامنة : التفطن لقوله « لَقَد صَدَقَ نَوءُ كذا وَكَذا » .

التاسعة : اخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها لقوله أَتَدرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُـم ؟

العاشرة : وعيــد النائحــة .

باب قول الله تعالى

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ)

وقوله : (قُل إِن كَانَ آبَاؤُكُم وَأَبنَاؤُكُم ـــ إِلى قَولِهِ ـــ أَحَبَّ إِلَيكُم مِــنَ اللهِ وَرَسُولِـــــهِ) .

عن انس : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ مِن وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجمَعِينَ) اخرجاه ؟

بهـــا على عبـــاده .

ثم الانواء ليست من الاسباب لنزول المطر بوجه من الوجـــوه وانما السبب عناية المولى ورحمته وحاجة العباد وسؤالهم لربهـــم بلسان الحال ولسان المقـــال فينزل عليهم الغيث بحكمته ورحمتـــه بالوقت المناسب لحاجتهم وضرورتهـــم .

فلا يتم توحيد العبد حتى يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى جميع الخلق ويضيفها اليه ويستعين بها على عباداته وذكـــــره وشكـــــــره .

وهذا الموضع من محققات التوحيد وبه يعرف كامل الايمـــــان وناقصـــــه .

باب قول الله تعالى

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ)

ولهما عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ ، أَن يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَن يُحِبَّ المرءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهَ ، وَأَن يَكرَهَ أَن يَعُودَ فِي الكُفرِ بَعدَ إِذ أَنقَذَهُ اللهُ مِنهُ كَمَا يَكرَهُ أَن يُقذَفَ فِي النَّارِ) .

وفي رواية « لَا يجدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى » الى آخره .

وعن ابن عباس قال « مَن أَحَبَّ فِي اللهِ ، وَأَبغَضَ فِي اللَّهِ ، وَوَالَى فِي اللهِ ، وَعَادَى فِي اللَّهِ ، فَإِنَّمَا تَنَاوَلَ ولَايَةَ اللَّهِ بِذَلِكَ ، وَلَن يَجِدَ عَبدٌ طَعمَ الإِيمَانِ . وَإِن كَثُرَت صَلَاتُهُ وَصَومُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ ، وَقَد صَارَت عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمرِ الدُّنيَا ، وَذَلِكَ لَا يُجدِي عَلَى أَهلِهِ شَيئاً » رواه ابن جرير .

وقال ابن عباس في قوله (وَتَقَطَّعَت بِهِمُ الأَسبَابُ) قال : المودة .

« فيـــه مسائـــل »

الاولى : تفسيـــر آيـــة البقـــرة .

الثانية : تفسيـــر آيـــة بـــراءة .

الثالثة : وجوب (1) محبته صلى الله عليه وسلم على النفـــس والاهل والمـــــال .

الرابعة : ان نفى الايمان لا يدل على الخروج من الاسلام .

اصل التوحيد وروحه اخلاص المحبة لله وحده وهى اصل التألـــه والتعبد له ، بل هي حقيقة العبادة ، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه ، وتسبق محبته جميع المحاب وتغلبها ويكون لها الحكـــم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تبعا لهذه المحبـــة التـــى بهـــا

---

1) لعل الصواب (وجوب تقديم محبتـــه) .

الخامسة : أن للايمان حلاوة قد يجدها الانسان وقد لا يجدها .

السادسة : أعمال القلب الاربع التى لا تنال ولاية الله الا بها . ولا يجد أحد طعم الايمان الا بهـــا .

السابعة : فهم الصحابى للواقع ــ ان عامة المؤاخاة على امــر الدنيـــــــا .

الثامنة : تفسير (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ) .

سعـــادة العبد وفلاحـــــه .

ومن تفريعها وتكميلها الحب فى الله ، فيحب العبد ما يحبه الله من الاعمال والاشخاص ، ويبغض ما يبغضه الله من الاشخاص والاعمال ويوالى أولياءه ويعادى أعداءه ، وبذلك يكمل ايمان العبد وتوحيده .

أما اتخاذ انداد من الخلق يحبهم كحب الله ويقدم طاعتهم علـــى طاعة الله ويلهج بذكرهم ودعائهم فهذا هو الشرك الاكبر ، الذى لا يغفره الله وصاحب هذا الشرك قد انقطع قلبه من ولاية العزيز الحميد ، وتعلق بغيره ممن لا يملك له شيئا ، وهذا السبب الواهى الذى تعلق به المشركون سينقطع يوم القيامة احوج ما يكون العبد لعمله ، وستنقلب هذه المودة والموالاة بغضا وعداوة .

واعلم أن أنواع المحبة ثلاثة أقســـام :

الاول : محبة الله التى هى أصل الايمان والتوحيـــد .

الثانى : المحبة فى الله وهى محبة انبياء الله ورسله وأتباعهم ، ومحبة ما يحبه الله من الاعمال والازمنة والامكنة وغيرهم ، وهــذه تابعة لمحبة الله ومكملة لهـــا .

الثالث : محبة مع الله وهى محبة المشركين لآلهتهم وانداهم من شجر ، وحجر ، وبشر ، وملك ، وغيرها وهى أصل الشرك وأساسه

التاسعة : ان من المشركين من يحب الله حبا شديدا .

العاشرة : الوعيد على من كانت الثمانية أحب اليه من دينه .

الحادية عشرة : ان من اتخذ ندا تساوى محبته محبة الله فهو الشرك الاكبر .

(باب قول الله تعالى)

(إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) .

وقوله : (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ) الآية .

وقوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ) الآية .

وعن ابى سعيد رضى الله عنه مرفوعا « إِنَّ مِن ضَعفِ اليَقِينِ أَن تُرضِيَ النَّاسَ بِسُخطِ اللَّهِ ، وَأَن تَحمَدَهُم عَلَى رِزقِ اللهِ ، وَأَن

وهنا قسم رابع : وهو المحبة الطبيعية التى تتبع ما يلائم العبد ويوافقه من طعام وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها ، وهذه اذا كانت مباحة ان اعانت على محبة الله وطاعته دخلت فى باب العبادات ، وان صدت عن ذلك وتوسل بها الى ما لا يحبه الله دخلت فى المنهيات . والا بقيت من اقسام المباحات والله اعلم .

(باب قول الله تعالى)

(إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) الآية .

هذا الباب عقده المصنف رحمه الله لوجوب تعلق الخوف والخشية بالله وحده ، والنهى عن تعلقه بالمخلوقين ، وبيان انه لا يتم التوحيد الا بذلك .

تَذُمَّهُم عَلَى مَا لَم يُؤتِكَ اللهُ ، إِنَّ رِزقَ اللَّهِ لاَ يَجُرُّهُ حِرصُ حَرِيصٍ ، وَلاَ يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ » .

وعن عائشة رضى الله عنها : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَن التَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسُخطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ وَأَرضَى عَنهُ النَّاسَ ، وَمَن التمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسُخطِ اللهِ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيهِ وَأَسخَطَ عَليهِ النَّاسَ » . رواه ابن حبان فى صحيحه .

« فيه مسائل »

الاولى : تفسير آية آل عمران .

ولابد فى هذا الموضع من تفصيل يتضح به الامر ويزول الاشتباه

اعلم ان الخوف والخشية تارة يقع عبادة ، وتارة يقع طبيعة وعادة وذلك بحسب اسبابه ومتعلقاته .

فان كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف الى من يخافه وكان يدعو الى طاعة باطنة وخوف سرى يزجر عن معصية من يخافه كان تعلقه بالله من اعظم واجبات الايمان وتعلقه بغير الله من الشرك الاكبر الذى لا يغفره الله ، لانه اشرك فى هذه العبادة التى هى من اعظم واجبات القلب غير الله مع الله ، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه لله .

وايضا فمن خشى الله وحده على هذا الوجه فهو مخلص موحد ومن خشى غيره فقد جعل لله ندا فى الخشية كمن جعل لله ندا فى المحبة . وذلك كمن يخشى من صاحب القبر ان يوقع به مكروها او يغضب عليه فيسلبه نعمة او نحو ذلك مما هو واقع من عباد القبور .

وان كان الخوف طبيعيا كمن يخشى من عدو او سبع أو حية او نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهرى ، فهذا النوع ليس عبادة

الثانية : تفسير آيـــة براءة .

الثالثة : تفسير آية العنكبوت

الرابعة : ان اليقين يضعف ويقوى .

الخامسة : علامة ضعفه ، ومن ذلك : هذه الثلاث .

السادسة : ان اخلاص الخوف لله من الفرائض .

السابعة : ذكر ثواب من فعله .

الثامنة : ذكر عقاب من تركـــه .

(باب قول الله تعالى)

(وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُؤمِنِين) الآيـــة .

وقد يوجد من كثير من المؤمنين ولا ينافى الايمان .

وهذا اذا كان خوفا محققا قد انعقدت أسباب الخوف فليـــس بمذمـــــوم .

وان كان هذا خوفا وهميا كالخوف الذى ليس له سبب أصلا ، او له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه فى وصف الجبناء ، وقد تعوذ صلى الله عليه وسلم من الجبن فهو من الاخلاق الرذيلة ، ولهذا كان الايمان التام والتوكل والشجاعة تدفع هذا النوع ، حتى أن خواص المؤمنين وأقويائهم تنقلب المخاوف فى حقهم امنـــا وطمأنينـــة لقوة ايمانهم وشجاعتهم الشجاعة القلبية ، وكمال توكلهم ، ولهـــذا اتبعـــه بهـــذا البـــــاب .

(باب قول الله تعالى)

(وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا ان كُنتُم مُؤمِنِينَ)

التوكل على الله من أعظم واجبات التوحيد والايمان ، وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى ايمانه ، ويتم توحيده ، والعبد مضطـــر

وقوله : (إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَت قُلُوبُهُم) الآية

وقوله : (وَمَن يَتَوَكَّل عَلَى اللهِ فَهُو حَسبُهُ) .

وعن ابن عباس قال : (حَسبُنَا اللهُ وَنِعمَ الوَكِيلُ) قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له : (إِنَّ النَّاسَ قَد جَمَعُوا لَكُم فَاخشَوهُم فَزَادَهُم إِيمَاناً) الآية . رواه البخارى والنسائى .

« فيه مسائل »

الاولى : ان التوكل من الفرائض .

الثانية : انه من شروط الايمان .

الثالثة : تفسير آية الانفال .

الرابعة : تفسير الآية فى آخرها .

الخامسة : تفسير آية الطلاق .

السادسة : عظم شأن هذه الكلمة ، وانها قول ابراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فى الشدائد .

الى التوكل على الله والاستعانة به فى كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه .

وحقيقة التوكل على الله : ان يعلم العبد أن الامر كله لله . وانه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وانه هو النافع الضار المعطى المانع ، وانه لا حول ولا قوة الا بالله ، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه فى جلب مصالح دينه ودنياه ، وفى دفع المضار ويثق غاية الوثوق بربه فى حصول مطلوبه ، وهو مع هذا باذل جهده فى فعل الاسباب النافعة .

فمتى استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل

(باب قول الله تعالى)

(أَفَأَمِنُوا مَكرَ اللهِ ؟ فَلَا يَأمَنُ مَكرَ اللَّهِ إِلَّا القَومُ الخَاسِرُونَ) .
وقوله : (وَمَن يَقنَط مِن رَحمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) .

على الله حقيقة ، وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين ، ومتـــى علق ذلك بغير الله فهو شرك ، ومن توكل على غير الله وتعلق بـــه وكل اليه وخـــاب أملـــه .

(باب قول الله تعالى)

(أَفَأَمِنُوا مَكـرَ اللهِ)

مقصود الترجمة أنه يجب على العبد أن يكون خائفا من الله ، راجيا له راغبا راهبا ، أن نظر الى ذنوبه وعدل الله وشدة عقابه خشى ربه وخافه ، وان نظر الى فضله العام والخاص وعفوه الشامل رجا وطمع ، ان وفق لطاعة رجا من ربه تمام النعمة بقبولها وخاف من ردها بتقصيره فى حقها . وان ابتلى بمعصية رجا من ربه قبول توبته ومحوها وخشى بسبب ضعف التوبة والالتفات للذنب أن يعاقب عليها ، وعند النعم والمسار يرجو الله دوامها والزيادة منها والتوفيق لشكرها ، ويخشى باخلاله بالشكر من سلبها ، وعند المكاره والمصائب يرجو الله دفعها وينتظر الفرج بحلها ، ويرجو ايضا أن يثيبه الله عليها حين يقوم بوظيفة الصبر ويخشى من اجتماع المصيبتين فوات الاجـــر المحبوب ، وحصول الامر المكروه اذا لم يوفق للقيام بالصبر الواجب ، فالمؤمن الموحد فى كل أحواله ملازم للخوف والرجاء ، وهذا هو الواجب وهو النافع ، وبه تحصل السعادة ، ويخشى على العبد من خلقـــين رذيلـــــــــن :

(احدهما) أن يستولى عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله

وعن ابن عباس : « ان رسول صلى الله عليه وسلم سُئلَ عَن الكَبَائرِ فقال : « الشِّركُ بِاللهِ ، وَاليَأسُ مِن رُوح اللّهِ ، وَالأَمنُ مِن مَكرِ اللّـــــــهِ » .

وعن ابن مسعود قال : أَكبَرُ الكَبَائرِ : الإِشرَاكُ بِاللّهِ وَالأَمـــنُ مِن مَكرِ اللهِ وَالقُنُوطُ مِن رَحمَةِ اللهِ وَاليَأسُ مِن رَوحِ اللّهِ » رواه عبـــد الـــرزاق .

« فيـــه مسائـــل »

الاولى : تفسير آيـــة الاعـــراف .

وروحـــــــــه .

(الثانى) أن يتجارى به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته فمتى بلغت به الحال الى هذا فقد ضيع واجب الخوف والرجـــاء اللذين هما من اكبر اصول التوحيد وواجبات الايمان .

وللقنوط من رحمة الله واليأس من روحه سببان محذوران :

(احدهما) أن يسرف العبد على نفسه ويتجرأ على المحـــارم فيصر عليها ويصمم على الاقامة على المعصية ، ويقطع طمعه مـــن رحمة الله لاجل أنه مقيم على الاسباب التى تمنع الرحمة فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفا وخلقا لازما . وهذا غاية ما يريده الشيطـــان من العبد . ومتى وصل الى هذا الحد لم يرج له خير الا بتوبة نصوح واقلاع قـــوى .

(الثانى) أن يقوى خوف العبد بما جنت يداه من الجرائـــم ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة والمغفرة ويظن بجهلـــه أن الله لا يغفر له ولا يرحمه ولو تاب وأناب وتضعف ارادته فييأس من الرحمة ، وهذا من المحاذير الضارة الناشئة من ضعف علم العبـــد بربه ، وما له من الحقوق ، ومن ضعف النفس وعجزها ومهانتها .

الثانية : تفسير آيـــة الحجـــر .
الثالثة : شدة الوعيد فيمن أمن مكـــر الله .
الرابعة : شدة الوعيد فى القنوط .

باب من الايمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى : (وَمَن يُؤمِن بِاللَّهِ يَهدِ قَلبَـــهُ) .

فلو عرف هذا ربه ولم يخلد الى الكسل لعلم ان أدنـــى سعـــى يوصله الى ربه والى رحمته وجوده وكرمـــه .
وللامن من مكـــر الله أيضا سببان مهلكـــان :

(أحدهما) اعراض العبد عن الدين وغفلته عن معرفة ربـــه وما له من الحقوق ، وتهاونه بذلك فلا يزال معرضا غافلا مقصرا عن الواجبات منهمكا فى المحرمات حتى يضمحل خوف الله من قلبه ولا يبقى فى قلبه من الايمان شىء لان الايمان يحمل على خوف الله وخوف عقابه الدنيوى والاخروى .

السبب الثانى أن يكون العبد عابدا جاهلا معجبا بنفسه مغرورا بعمله فلا يزال به جهله حتى يدل بعمله ويزول الخوف عنه ، ويرى أن له عند الله المقامات العالية فيصير آمنا من مكر الله متكلا على نفسه الضعيفة المهينة ، ومن هنا يخذل ويحال بينه وبين التوفيق اذ هـــو الذى جنى علـــى نفســـه .

فبهذا التفصيل تعرف منافاة هذه الامور للتوحيد .

باب من الايمان بالله الصبر على أقدار الله

أما الصبر على طاعة الله ، والصبر عن معصيته ، فهو ظاهـــر لكل احد انهما من الايمان بل هما اساسه وفرعه . فان الايمان كله صبر على ما يحبه الله ويرضاه ويقرب اليه ، وصبر عن محارم الله .

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضـــى ويسلـــم .

وفى صحيح مسلم . عن ابى هريرة : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اثنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِم كُفرٌ : الطَّعنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَـــى المَيِّــتِ » .

ولهما عن ابن مسعود مرفوعا : « لَيسَ مِنَّا مَن ضَرَبَ الخُدُودَ وَشَقَّ الجُيُوبَ ، وَدَعَى بِدَعوَى الجَاهِلِيَّـــةِ » .

وعن انس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبدِهِ الخَيرَ عَجلَ لَهُ بِالعُقُوبَةِ فِي الدُّنيَا ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبدِهِ الشـــرَّ أَمسَكَ عَنـــهُ بِذَنبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ » .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَـــمِ البَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوماً ابتَلَاهُم فَمَن رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَـاءُ ، وَمَن سَخِطَ فَلَهُ السُّخطُ » حسنه الترمذى .

فان الدين يدور على ثلاثة أصـــول :

تصديق خبر الله ورسوله وامتثال أمر الله ورسوله ، واجتناب نهيهمـــــــا .

فالصبر على اقدار الله المؤلمة داخل فى هذا العموم ولكن خـــص بالذكر لشدة الحاجة الى معرفته والعمل بـــه .

فان العبد متى علم ان المصيبة باذن الله ، وأن لله اتم الحكمة فى تقديرها ، وله النعمة السابغة فى تقديرها على العبد ، رضى بقضاء الله وسلم لامره وصبر على المكاره ، تقربا الى الله ورجاء لثوابـــه وخوفا من عقابه واغتناما لافضل الاخلاق ، فاطمأن قلبه وقوى ايمانه وتـــوحيــــــده .

« فيـــه مسائـــل »

الاولى : تفسيـــر آيـــة التغابـــن .

الثانية : ان هذا من الايمـــان بالله .

الثالثة : الطعـــن فى النســـب .

الرابعة : شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعـــوى الجاهليـــة .

الخامسة : علامة ارادة الله بعبده الخيـــر .

السادسة : علامة ارادة الله بعبده الشـــر .

السابعة : علامة حب الله للعبد .

الثامنة : تحريـــم السخـــط .

التاسعة : ثواب الرضـــا بالبلاء .

« باب ما جاء فى الرياء »

وقول الله تعالى : (قُل إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُم يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَـــا إِلَٰهُكُم إِلَٰهٌ وَاحِـــدٌ) الآيـــــة .

وعن أبى هريرة مرفوعا : قال الله تعالى : أَنا أُغنِي الشُرَكَاءِ

باب ما جاء فى الرياء .. ثم قال :
(باب من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا)

اعلم ان الاخلاص لله أساس الدين ، وروح التوحيد ، والعبادة وهو أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله ، وثوابه ، وفضله ، فيقوم بأصول الايمان الستة وشرائع الاسلام الخمس ، وحقائق الايمان التى هى الاحسان . وبحقوق الله . وحقوق عباده . مكملا لها قاصدا بها وجه الله والدار الآخرة . لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا رياسة ، ولا دنيـــا ، وبذلك يتم ايمانه وتوحيـــده .

عَن الشِّركِ ، مَن عَمِلَ عَمَلاً أَشرَكَ مَعِي فِيهِ غَيرِي تَرَكتُهُ وَشِركَهُ . رواه مسلـــم .

وعن ابى سعيد مرفوعا : (أَلاَ أُخبِرُكُم بِمَا هُوَ أَخوَفُ عَلَيكُـم عِندِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ ؟ قالوا : بلى ، قال: الشِّركُ الخَفِيُّ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ ، لِمَا يَرَى مِن نَظَرِ رَجُلٍ) . رواه احمد .

((فيـــه مسائـــل))

الاولى : تفسير آيـــة الكهـــف .

الثانية : الامر العظيم فى رد العمل الصالح اذا دخله شـــىء لغيـــر الله .

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك ، وهو كمال الغنـــى .

الرابعة : أن من الاسباب انه خير الشركـــاء .

الخامسة : خوف النبى صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الـــريـــــاء .

السادسة : انه فســـر ذلك ــ بأن المرء يصلى لله لكن يزينها لما يـــرى من نظـــر رجـــل .

ومن أعظم ما ينافى هذا مراءآة الناس والعمل لاجل مدحهـــم وتعظيمهم ، او العمل لاجل الدنيا ، فهذا يقدح فى الاخلاص والتوحيد .

واعلم ان الرياء فيـــه تفصيـــل :

فان كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءآة الناس واستمر على هذا القصد الفاسد فعمله حابط وهو شرك أصغـــر . ويخشى ان يتذرع به الى الشرك الاكبـــر .

وان كان الحامل على العمل ارادة وجه الله مع ارادة مراءآة الناس ، ولم يقلع عن الرياء بعمله ، فظاهر النصوص أيضا بطلان هـــذا العمـــــل .

باب : من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى : (مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيهِم أَعمَالَهُم فِيهَا) الآيتين .

وفى الصحيح عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تَعِسَ عَبدُ الدِّينَارِ ، تَعِسَ عَبدُ الدِّرهَمِ ، تَعِسَ عَبدُ الخَمِيصَةِ ، تَعِسَ عَبدُ الخَمِيلَةِ إِن أُعطِيَ رَضِيَ وَإِن لَم يُعطَ سَخِطَ ، تَعِسَ وَانتَكَسَ ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انتَقَشَ . طُوبَى لِعَبدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، أَشعَثَ رَاسُهُ ، مُغبَرَّةٌ قَدَمَاهُ إِن كَانَ فِي الحِرَاسَةِ ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ وَإِنَ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِن استَأذَنَ لَم يُؤذَن لَهُ . وَإِن شَفَعَ لَم يُشفَع) .

((فيــه مسائــل))

الاولى : ارادة الانسان الدنيا بعمل الآخرة .

وان كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده ، ولكن عرض لــه الرياء فى اثناء عمله ، فان دفعه وخلص اخلاصه للــه لم يضره ، وان ساكنه واطمأن اليه نقص العمل وحصل لصاحبه من ضعف الايمان والاخلاص بحسب ما قام فى قلبه من الرياء ، وتقــاوم العمل لله وما خالطــه مــن شائبــة الريـــاء .

والرياء آفة عظيمة ويحتاج الى علاج شديد وتمرين النفس على الاخلاص ومجاهدتها فى مدافعة خواطر الرياء والاغراض الضـــارة والاستعانة بالله على دفعها لعل الله يخلص ايمان العبد ويحقق توحيده

واما العمل لاجل الدنيا وتحصيل اغراضها .

فان كانت ارادة العبد كلها لهذا المقصد ولم يكن له ارادة لوجه الله والدار الآخرة فهذا ليس له فى الآخرة من نصيب .

وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن ، فان المؤمن ولو كان ضعيف الايمان لا بُدَّ ان يريد الله والدار الآخرة .

الثانية : تفسير آية هود .

الثالثة : تسمية الانسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة

الرابعة : تفسير ذلك بأنه أن أعطى رضى ، وان لم يعط سخط

الخامسة : (قوله تَعِسَ وَانتَكَسَ) .

السادسة : قوله (واذا شيك فلا انتقش) .

السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

وأما من عمل العمل لوجه الله ولاجل الدنيا ، والقصدان متساويان أو متقاربان فهذا وان كان مؤمنا فانه ناقص الايمان والتوحيد والاخلاص ، وعمله ناقص لفقده كمال الاخلاص .

وأما من عمل لله وحده واخلص فى عمله اخلاصا تاما ولكنه يأخذ على عمله جعلا ومعلوما يستعين به على العمل والدين ، كالجعالات التى تجعل على أعمال الخير ، وكالمجاهد الذى يترتب على جهاده غنيمة أو رزق ، وكالاوقاف التى تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها ، فهذا لا يضر اخذه فى ايمان العبد وتوحيده لكونه لم يرد بعمله الدنيا ، وانما أراد الدين وقصد ان يكون ما حصل له معينا له على قيام الدين .

ولهذا جعل الله فى الاموال الشرعية كالزكوات وأموال الفىء وغيرها جزءا كبيرا لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة ، كما قد عرف تفاصيل ذلك .

فهذا التفصيل يبين لك حكم هذه المسألة كبيرة الشأن ، ويوجب لك أن تنزل الامور منازلها والله أعلم .

باب من أطاع العلماء والامراء
فى تحريم ما أحل الله
أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا

وقال ابن عباس : يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء ، اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقولون : قال ابو بكر وعمـــر ؟

وقـــال احمد بن حنبل : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون الـــى راى سفيان ، والله تعالى يقول : (فَلْيَحذَرِ الذِيــنَ يُخَالِفُونَ عَن أَمرِهِ أَن تُصِيبَهُم فِتنَةٌ أَو يُصِيبَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ) اتدرى مـــا الفتنة ، الفتنة الشرك ، لعله اذا رد بعض قوله أن يقع فى قلبـــه شـــىء من الزيـــغ فيهلـــك .

وعن عدى بن حاتم : « انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ هـــذه الآيـــــة :

(اتَّخَذُوا أَحبَارَهُم وَرُهبَانَهُم أَربَاباً مِن دُون اللهِ) الآية . فقلت له انا لسنا نعبدهم قال : أَلَيسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ فقلت : بلى ، قال : فَتِلكَ عِبَادَتُهُم . رواه أحمـــد والترمذى وحسنـــه .

باب من أطاع العلماء والامراء فى تحريم ما احل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا

باب قول الله تعالى

(أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزعُمُونَ أَنَّهُم آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ) .

ووجه ما ذكره المصنف ظاهر ، فان الرب ، والاله هو الذى لـــه

« فيـــه مسائـــل »

الاولى : تفسير آيــة النــور .

الثانية : تفسير آية بــراءة .

الثالثة : التنبيه على معنى العبادة التى انكرها عدى .

الرابعة : تمثيل ابن عباس بأبى بكر وعمر ، وتمثيل احمد بسفيان

الخامسة : تغير الاحوال الى هذه الغاية حتى صار عند الاكثر عبادة الرهبان هى أفضل الاعمال ، وتسمى الولاية ، وعبادة الاحبار هى العلم والفقه ، ثم تغيرت الاحوال الى ان عبد من دون الله من ليس من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثانى من هو من الجاهلين .

(باب قول الله تعالى)

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ، وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِــهِ ، وَيُرِيدُ الشَّيطَانُ أَن يُضِلَّهُم ضَلاَلاً بَعِيداً) . الآيات .

وقوله : (وَإِذَا قِيلَ لَهُم لاَ تُفسِدُوا فِي الأَرضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحــنُ مُصلِحُــــون) .

وقوله : (وَلاَ تُفسِدُوا فِي الأَرضِ بَعدَ إِصلاَحِهَا) .

وقوله : (أَفَحُكمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبغُونَ) ؟ الآيـــة .

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئتُ بِهِ « قال النووى ــ حديث

الحكم القدرى ، والحكم الشرعى ، والحكم الجزائى ، وهو الــذى يؤله ويعبد وحده لا شريك له ويطاع طاعة مطلقة فلا يعصى بحيث تكون الطاعات كلها تبعا لطاعته . فاذا اتخذ العبد العلماء والامراء على هذا الوجه ، وجعل طاعتهم هى الاصل وطاعة الله ورسولــه تبعا لها فقد اتخذهم اربابا من دون الله يتألههم ويحاكــم اليــهم

صحيح رويناه فى كتاب الحجة باسناد صحيح .

وقال الشعبى : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة ، فقال اليهودى : نتحاكم الى محمد ، عرف انه لا يأخذ الرشوة ، وقال المنافق نتحاكم الى اليهود ، لعلمه انهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا ان يأتيا كاهنا فى جهينة فيتحاكما اليه ، فنزلت : (أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزعُمُونَ) الآية .

وقيل : نزلت فى رجلين اختصما ، فقال احدهما : نترافع الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال الآخر : الى كعب بن الاشرف ، ثم ترافعا الى عمر ، فذكر له أحدهما القصة فقال للذي لم يرض برسول الله (صلى الله عليه وسلم) أَكَذلِكَ ؟ قال : نعم ، فضربه بالسيف فقتله » .

« فيه مسائل »

الاولى : تفسير آية النساء وما فيها من الاعانة على فهم الطاغوت

الثانية : تفسير آية البقرة (وَإِذا قِيلَ لَهُم : لَا تُفسِدُوا فِي الأَرضِ) . الآية .

الثالثة : تفسير آية الاعراف (وَلَا تُفسِدُوا فِي الأَرضِ بَعدَ إِصلَاحِهَا) .

ويقدم حكمهم على حكم الله ورسوله ، فهذا هو الكفر بعينه ، فان الحكم كله لله ، كما ان العبادة كلها لله .

والواجب على كل أحد أن لا يتخذ غير الله حكما ، وان يرد ما تنازع فيه الناس الى الله ورسوله ، وبذلك يكون دين العبد كله لله وتوحيده خالصا لوجه الله .

وكل من حاكم الى غير حكم الله ورسوله فقد حاكم الى الطاغوت ، وان زعم انه مؤمن فهو كاذب .

الرابعة : تفسير (أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبغُونَ) .
الخامسة : ما قاله الشعبى فى سبب نزول الآية الاولى .
السادسة : تفسير الايمان الصادق والكاذب .
السابعة : قصة عمر مع المنافق .
الثامنة : كون الايمان لا يحصل لاحد حتى يكون هواه تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

(باب جحد شيئا من الاسماء والصفات)

وقول الله تعالى : (وَهُم يَكفُرُونَ بِالرَّحمَن) الآية .

وفى صحيح البخارى : قال عَلِيٌّ : « حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعرِفُونَ أَتُرِيدُونَ أَن يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ » ؟

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس « أنه راى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الصفات استنكارا لذلك ، فقال : ما فرق هؤلاء ؟ يجدون رقة عند مُحكَمِهِ ويهلكون عند مُتَشَابِهِه » ؟ انتهى .

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن انكروا ذلك فأنزل الله فيهم : (وَهُم يَكفُرُونَ بِالرَّحمَنِ) .

فالايمان لا يصح ولا يتم الا بتحكم ، الله ورسوله فى أصول الدين وفروعه ، وفى كل الحقوق كما ذكره المصنف فى الباب الآخر .

فمن حاكم الى غير الله ورسوله فقد اتخذ ذلك ربا وقد حاكم الى الطاغوت .

(باب جحد شيئا من الاسماء والصفات)

أصل الايمان وقاعدته التى ينبنى عليها هو الايمان بالله ، وبأسمائه ، وصفاته .

وكلما قوى علم العبد بذلك وايمانه به ، وتعبد لله بذلك ، قوى

« فيـه مسائـل »

الاولى : عدم الايمان بجحد شيء من الاسماء والصفات .

الثانية : تفسير آيــة الرعــد .

الثالثة : ترك التحديث بما لا يفهم السامــع .

الرابعة : ذكر العلة ، انه يفضى الى تكذيب الله ورسوله ، ولو لـم يتعمـد المنكـر .

الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئا من ذلك ، وانـه اهلكـه .

باب قول الله تعالى

(يَعرِفُونَ نِعمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا) الآيــة .

قال مجاهد ما معناه « هو قول الرجل : هذا مالى ، ورثته عن آبائـى » .

وقال عون بن عبد الله لولا فلان لم يكن كـذا .

وقال ابن قتيبة ـ يقولون ـ هذا بشفاعة آلهتنا .

توحيده ، فاذا علم ان الله متوحد بصفات الكمال متفرد بالعظمـة والجلال والجمال ليس له فى كماله مثيل ، أوجب له ذلك أن يعرف ويتحقق أنه هو الاله الحق ، وان الهية ما سواه باطلة ، فمن جحـد شيئا من أسماء الله وصفاته فقد أتى بما يناقض التوحيد وينافيه ، وذلك من شعب الكفـر .

باب قول الله تعالى

(يَعرِفُونَ نِعمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا)

الواجب على الخلق اضافة النعم الى الله قولا واعترافا كما تقدم وبذلك يتم التوحيد ، فمن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فذلك كافـر

وقال ابو العباس : « بعد حديث زيد بن خالد » الذى فيــه « وَانَّ الله تَعَالَى قَالَ : أَصبَحَ مِن عِبَادِي مُؤمِنٌ بِي وَكَافِرٌ » الحديث وقد تقدم ــ وهذا كثير فى الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيــف انعامه الى غيره ويشرك بـــه .

قال بعض السلف ــ هو كقولهم كانت الريح طيبة والملاح حاذقا ، ونحو ذلك مما هو جار على السنة كثيـــرة .

« فيـــه مسائـــل »

الاولى : تفسير معرفة النعمة وانكارها .

الثانية : معرفة ان هذا جار على السنة كثيرة .

الثالثة : تسمية هذا الكلام انكار للنعمة .

الرابعة : اجتماع الضدين فى القلب .

ليس معه من الدين شـــىء .

ومن اقر بقلبه ان النعم كلها من الله وحده ، وهـــو بلسانـــه تارة يضيفها الى الله ، وتارة يضيفها الى نفسه وعمله والـــى سعى غيره كما هو جار على السنة كثير من الناس ، فهذا يجب على العبد ان يتوب منه وان لا يضيف النعم الا الى موليها وان يجاهد نفســه على ذلك ولا يتحقق الايمان والتوحيد الا باضافة النعم الى اللـــه قولا واعترافـــا .

فان الشكر الذى هو راس الايمان مبنى على ثلاثة اركان :

اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه وعلى غيره .

والتحدث بها والثناء على الله بهـــا .

والاستعانة بها على طاعة المنعم وعبادته ، والله اعلم .

باب قول الله تعالى

(فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُم تَعلَمُونَ)

قال ابن عباس فى الآية : « الانداد هو الشرك ، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وحياتى ، وتقول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط فى الدار لاتانا اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت . وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلانا ، هذا كله به شرك » رواه ابن أبى حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَن حَلَفَ بِغَيرِ اللَّهِ فَقَد كَفَرَ أَو أَشرَكَ » رواه الترمذى وحسنه وصححه الحاكم .

وقال ابن مسعود : « لان أحلف بالله كاذبا أحب الى من ان احلف بغيره صادقا » .

وعن حذيفة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فُلَانٌ وَلَكِن قُولُوا : مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ » رواه ابو داود بسند صحيح .

وجاء عن ابراهيم النخعى : انه يكره أعوذ بالله وبك . ويجوز ان يقول بالله ثم بك ، قال ويقول لولا الله ثم فلان ، ولا تقولوا لولا الله وفلان .

باب قول الله تعالى

(فَلَا تَجعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُم تَعلَمُونَ)

الترجمة السابقة على قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً) الآية ، يقصد بها الشرك الاكبر بأن يجعل لله ندا فى العبادة والحب والخوف والرجاء وغيرها من العبادات .

« فيـــه مسائـــل »

الاولى : تفسير آية البقرة فى الانـــداد .

الثانية : ان الصحابة يفسرون الآية النازلة فى الشرك الاكبـــر بأنهـــا تعـــم الاصغـــر .

الثالثة : ان الحلف بغير الله شــــرك .

الرابعة : انه اذا حلف بغير الله صادقا فهو اكبر من اليمين الغمـــــــــوس .

الخامسة : الفرق بين الواو وثم فى اللفظ .

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر ــ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لاَ تَحلِفُوا بِآبَائكُم مَن حَلَفَ بِاللّهِ فَليَصدُق وَمَن حُلِفَ لَهُ بِاللّهِ فَليَرضَ ، وَمَن

وهذه الترجمة المراد بها الشرك الاصغر كالشرك فى الالفاظ كالحلف بغير الله ، وكالتشريك بين الله وبين خلقه فى الالفاظ كلولا الله وفلان وهذا بالله وبك ، وكاضافة الاشياء ووقوعهـــا لغيـــر الله كلولا الحارس لاتانا اللصوص ، ولولا الدواء الفلانى لهلكت . ولولا حذق فلان فى المكسب الفلانى لما حصل ... فكل هذا ينافى التوحيد .

والواجب ان تضاف الامور ووقوعها ونفع الاسباب الى ارادة الله والى الله ابتداء ، ويذكر مع ذلك مرتبة السبب ونفعه ، فيقول لولا الله ، ثم كذا ليعلم أن الاسباب مربوطة بقضاء الله وقدره .

فلا يتم توحيد العبد حتى لا يجعل لله ندا فى قلبه وقوله وفعله .

باب من لم يقنع فى الحلف بالله

ويراد بهذا اذا توجهت اليمين على خصمك وهو معروف بالصدق او ظاهره الخير والعدالة ، فانه يتعين عليك الرضا والقناعة بيمينه

لم يَرضَ فَلَيسَ مِنَ اللهِ) رواه ابن ماجه بسند حسن .

((فيــه مسائــل))

الاولى : النهى عن الحلف بالآبــاء .

الثانية : الامر للمحلوف له بالله أن يرضى .

الثالثة : وعيد من لم يرض .

باب قول (ما شاء الله وشئت)

عن قتيلة ـــ (ان يهوديا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انكم تشركون تقولون ما شـاء الله وشئت . وتقولون : والكعبة : فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم اذا ارادوا أن يحلفوا أن يقولوا: وَرَبِّ الكَعبَةِ وان يقولوا : (مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئتُ) . رواه النسائى وصححه .

وله أيضا عن ابن عباس « ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه

لانه ليس عندك يقين يعارض صدقـــه .

وما كان عليه المسلمون من تعظيم ربهم واجلاله يوجب عليك ان ترضى بالحلف بالله .

وكذلك لو بذلت له اليمين بالله فلم يرض الا بالحلف بالطلاق أو دعاء الخصم على نفسه بالعقوبات فهو داخل فى الوعيد لان ذلـــك سوء ادب وترك لتعظيم الله ، واستدراك على حكم الله ورسوله .

واما من عرف منه الفجور والكذب حلف على ما تيقن كذبـــه فيه فانه لا يدخل تكذيبه فى الوعيد للعلم بكذبه ، وانه ليس فى قلبه من تعظيم الله ما يطمئن الناس الى يمينه فتعين اخراج هذا النـــوع من الوعيد لان حالته متيقنة والله اعلم .

باب قول ما شاء الله وشئت

هذه الترجمة داخلة فى الترجمة السابقة (فَلَا تَجعَلُوا لِلّهِ أَندَاداً) .

وسلم ما شاء اللــــه وشئت فقال أَجَعَلتَنِـــي لِلَّهِ نِدًّا ؟ بَل مَا شَاءَ اللهُ وَحــــــــدَهُ » .

ولابن ماجه عن الطفيل اخى عائشة لامها قال : (رايت كأنى أتيت على نفـــر من اليهود ـــ قلت : انكم لأنتم القوم لولا انكم تقولون عزير ابن الله . قالوا وأنتم لانتـــم القـــوم لولا أنكم تقولـــون ـــ ما شاء الله وشاء محمد . ثم مررت بنفر من النصارى فقلت : انكـــم لانتم القوم لولا انكم تقولون المسيح ابن الله : قالوا وأنتـــم لانتـــم القوم لولا انكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ، فلما أصبحـــت أخبرت بها من أخبرت ، ثم اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته . قال : هَل أَخبَرتِ بِهَا أَحَداً ؟ قلت : نعم . قال فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أَمَّا بَعدُ فَإِنَّ طُفَيلاً رَأى رُؤيَا أَخبَرَ بِهَا مَن أَخبَرَ مِنكُم . وَأَنَّكُـم قُلتُم كَلِمَةً يَمنَعُنِي كَذا وَكَذا أَن أَنهَاكُم عَنهَا . فَلَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ . وَلَكِن قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَحدَهُ) .

« فيـــه مسائـــل »

الاولى : معرفة اليهود بالشرك الاصغـــر .

الثانية : فهم الانسان اذا كان له هوى .

الثالثة : قوله صلى الله عليه وسلم : « أَجَعَلتَنِي لِلَّهِ نِدّاً » فكيف بمن قال : « يَا أَكرَمَ الخَلقِ مَا لِي مَن أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ » والبيتين بعده .

الرابعة : ان هذا ليس من الشرك الاكبر . لقوله « يَمنَعُنِي كَذَا وَكَـــــذا » .

الخامسة : ان الرؤيا الصالحة من اقسام الوحـــى .

السادسة : انها قدتكون سببا لشرع بعض الاحكام .

باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى : (وَقَالُوا : مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنيَا نَمُوتُ وَنَحيَا وَمَــا يُهلِكُنَــا إِلاَّ الدَّهــرُ) الآيــة .

وفى الصحيح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يُؤذِينِي ابنُ آدَمَ . يَسُبُّ الدَّهرَ وَأَنَا الدَّهرُ أُقَلِّبُ اللَّيلَ وَالنَّهَــــــارَ) .

وفى رواية « لاَ تَسُبُّوا الدَّهرَ . فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ » .

« فيــه مسائــل »

الاولى : النهــى عن سب الدهــر .

الثانية : تسميتــه أذى لله .

الثالثة : التأمل فى قوله : « فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْــرُ » .

الرابعة : انه قد يكون سابًا . ولو لم يقصده بقلبه .

باب من سب الدهر فقد سب الله

وهذا واقع كثيراً فى الجاهلية ، وتبعهم على هذا كثير من الفساق والمجان والحمقى اذا جرت تصاريف الدهر على خلاف مرادهــم جعلوا يسبون الدهر والوقت ، وربما لعنوه . وهذا ناشىء من ضعف الدين ومن الحمق والجهل العظيم ، فان الدهر ليس عنده مــن الامر شىء ، فانه مدبر مصرف والتصاريف الواقعة فيه تدبير العزيــز الحكيم ، ففى الحقيقة يقع العيب والسب على مدبره .

وكما أنه نقص فى الدين فهو نقص فى العقل فيه تزداد المصائب ويعظم وقعها وينغلق باب الصبر الواجب ، وهذا مناف للتوحيــد .

أما المؤمن فانه يعلم أن التصاريف واقعة بقضاء الله وقدره وحكمته ، فلا يتعرض لعيب ما لم يعبه الله ولا رسوله ، بل يرضــى بتدبير الله ويسلم لامره وبذلك يتم توحيده وطمأنينته .

باب التسمى بقاضى القضاة ونحوه

فى الصحيح عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ أَخْنَعَ اسمٍ عِندَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَملاَكِ . لاَ مَالِكَ إِلاَّ اللَّهَ » .

قال سفيان : مثل شاهان شــاه .

وفى رواية : « أَغيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يومَ القِيَامَةِ وَأَخبَثُهُ » . قوله : (أَخْنَــع) يعنــى : أَوضَــع .

فيــــه مسائــــل

الاولى : النهى عن التسمى بملك الاملاك .

الثانية : ان ما فى معناه مثله . كما قال سفيان .

الثالثة : التفطن للتغليظ فى هذا ونحوه . مع القطع بأن القلــب لــم يقصد معنــاه .

الرابعة : التفطــن ان هذا الاجلال لله سبحانه .

باب احترام اسماء الله تعلى ، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن ابى شريح انه كان يكنى ابا الحكم . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : إِنَّ الله هُوَ الحَكَمُ وَإِلَيهِ الحُكمُ . فقال : إن قومى اذا اختلفوا فى شىء أتونى فحكمت بينهم فرضى كلا الفريقين ، فقال : مَا أَحسَنَ هَذَا ، فَمَالَكَ مِنَ الوَلَدِ؟ قلت ، شريح . ومسلم . وعبد الله ، قــال : فَمَن أَكبَرُهُم ؟ قلت : شريح ، قال : فَأَنتَ أَبُو شُرَيحٍ . رواه ابو داود

باب التسمــى بقاضــى القضاة ونحــوه
وباب احترام اسماء الله وتغيير الاسم لذلك

وهاتان الترجمتان من فروع الباب السابق . وهو انه يجب أن لا يجعل لله ند فى النيات والاقوال والافعال . فلا يسمى أحد باســم فيه نوع مشاركة لله فى اسمائه ، وصفاته ، كقاضى القضاة وملك

وغيـــــــره .

(فيـــه مسائــل)

الاولى : احترام صفات الله واسماء الله ولو لم يقصد معناه .

الثانية : تغيير الاسم لاجل ذلك .

الثالثة : اختيار اكبر الابناء للكنية .

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى : (وَلَئِن سَأَلْتَهُم لَيَقُولُنَّ : إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَنلعَــبُ) الآيــة .

وعن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن اسلم وقتادة ، دخــل حديث بعضهم فى بعض : انه قال رجل فى غزوة تبوك (ما رأينا مثــل قرائنا هؤلاء ارغب بطونا ولا أكذب السنا . ولا أجبن عند اللقاء ـــ يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه القراء ـــ فقال له عوف ابن مالك : كذبت . ولكنك منافق لأخبرنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد ارتحل وركب ناقته . فقال : يا رسول الله انما كنا نخوض ونتحدث حديث الركـــب ، نقطع به عنـــا الطريـــق .

الملوك ، ونحوها . وحاكم الحكام . أو بأبى الحكم ونحوه . وكل هذا حفظ للتوحيد ولاسماء الله وصفاته . ودفع لوسائل الشرك حتى فى الالفاظ التى يخشى أن يتدرج منها الى ان يظن مشاركة احد لله فى شيء مــن خصائصه وحقوقـــه .

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

اى فان هذا مناف للايمان بالكلية . ومخرج من الدين . لان

قال ابن عمر : كأنى انظر اليه متعلقا بنسعة ناقة رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم وان الحجارة تنكب رجليه ، وهو يقول : (انما كنا نخوض ونلعب) فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَبِاللَّـــهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُم تَستَهزِئُون) ؟ ما يلتفت اليه وما يزيده عليه .

(فيــه مسائــل)

الاولى : وهى العظيمة . ان من هزل بهذا انه كافـــر .

الثانية : ان هذا تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنا من كان .

الثالثة : الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله .

الرابعة : الفرق بين العفو الذى يحبه الله وبين الغلظة على اعداء اللــــــه .

الخامسة : ان من الاعذار ما لا ينبغى ان يقبل .

باب ما جاء فى قول الله تعالى

(وَلَئِن أَذَقنَاهُ رَحمَةً مِنَّا مِن بَعدِ ضَرَّاءَ مَسَّتهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي) . الآيــــــة .

قال مجاهد : هذا بعملى ، وانا محقوق بــه .

اصل الدين الايمان بالله وكتبه ورسله .

ومن الايمان تعظيم ذلك . ومن المعلوم ان الاستهزاء والهزل بشىء من هذه اشد من الكفر المجرد . لان هذا كفر وزيادة احتقار وازدراء .

فان الكفار نوعان : معرضون ومعارضون .

فالمعارض المحارب لله ورسوله ، القادح بالله وبدينه ورسوله اغلظ كفرا واعظم فسادا .

والهازل بشىء منها من هــذا النــوع .

وقال ابن عباس يريد : مـــن عنـــدى :

وقوله : (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلمٍ عِندِي) .

قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب .

وقال آخرون : على علم من الله انى له اهـــل .

وهذا معنى قول مجاهد : اوتيته على شرف .

وعن ابى هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ ثَلاَثَةً مِن بَنِي إِسرَائيلَ : أَبرَصَ وَأَقرَعَ وَأَعمَى ، فَأَرَادَ اللهُ أَن يَبتَلِيَهُم ، فَبَعَثَ إِليهِم مَلَكاً فَأَتَى الأَبرَصَ فَقَالَ : أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيكَ ؟ قَالَ : لَونٌ حَسَنٌ ، وَجِلدٌ حَسَنٌ ، وَيَذهَبُ عَنِّي الذي قَد قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ قَالَ فَمَسَحَهُ ، فَذَهَبَ عَنهُ قَذَرُهُ ، فَأُعطِيَ لَوناً حَسَناً وَجِلداً حَسَناً ، قَالَ فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيكَ قَالَ : الإِبِلُ أَوِ البَقَرُ ـــ شك اسحاق ـــ فَأُعطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ ، فَقَالَ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا . قَالَ : فَأَتَى الأَقرَعَ فَقَالَ : أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيكَ ؟ قَالَ شَعرٌ حَسَنٌ ، وَيَذهَبُ عَنِّي الذِي قَد قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ ، فَمَسَحَه فَذَهَبَ عَنهُ ، وَأُعطِيَ شَعراً حَسَناً ، فَقَالَ أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيكَ ؟ قَالَ البَقَرُ أَوِ الإِبِلُ ، فَأُعطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً ، قَالَ : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَـــــــا .

قَالَ : وَأَتَى الأَعمَى فَقَالَ : أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيكَ ؟ قَالَ أَن يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبصِر بِهِ النَّاسَ ، فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيهِ بَصَرَهُ ، قَالَ :

باب ما جاء فى قول الله تعالى

(وَلَئِن أَذَقنَاهُ رَحمَةً مِنَّا مِن بَعدِ ضَرَّاءَ مَسَّتهُ)

مقصود هذه الترجمة أن كل من زعم أن ما أوتيه من النعم والرزق فهو بكده وحذقه وفطنته ، أو انه مستحق لذلك لما يظن له على الله من الحق ، فان هذا مناف للتوحيد لان المؤمن حقا من يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة ويثنى على الله بها ، ويضيفها الى فضلـــه

فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيكَ ؟ قَالَ الغَنَمُ ، فَأُعطِيَ شَاةً وَالِداً فَأَنتَجَ هَــذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا . فَكَانَ لِهذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَــــــم .

قَالَ : ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيئَتِهِ فَقَالَ : رَجُلٌ مِسكِينٌ وَابنُ سَبِيلٍ قَد انقَطَعَت بِي الحِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاغَ لِــيَ اليَومَ إِلاَّ بِاللهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسأَلُكَ بِالذِي أَعطَاكَ اللَّونَ الحَسَنَ وَالجِلدَ الحَسَنَ وَالمَالَ بَعِيراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي ، فَقَالَ : الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ : كَأَنِّي أَعرِفُكَ ؟ أَلَم تَكُن أَبرَصَ يَقذَرُكَ النَّاسُ ، فَقِيراً فَأَعطَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ المَالَ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا وَرِثتُ هَذَا المَالَ كَابِراً عَن كَابِرٍ ، فَقَالَ : إِن كُنتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنتَ ، قَالَ : ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَقرَعَ فِي صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثلَ مَا قَالَ لِهَذَا ، وَرَدَّ عَلَيهِ مِثلَ مَا رَدَّ عَلَيهِ هَذَا ، فَقَالَ إِن كُنتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنتَ . قَالَ وَأَتَى الأَعمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ : رَجُلٌ مِسكِينٌ وَابــنُ سَبِيلٍ قَد انقَطَعَت بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلاَ بَلاَغَ لِيَ اليَومَ إِلاَّ بِاللهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسأَلُكَ بِالذِي رَدَّ عَلَيكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي . فَقَالَ قَد كُنتُ أَعمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي . فَخُذ مَا شِئتَ ، وَدَع مَا شِئتَ . فَوَاللَّهِ لاَ أُجهِدُكَ اليَومَ بِشَيءٍ أَخَذتَهُ لِلَّهِ . فَقَالَ : أَمسِك مَالَكَ فَإِنَّمَا ابتُلِيتُم فَقَــد رَضِيَ اللهُ عَنكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيكَ » اخرجاه .

(فيــه مسائــل)

الاولى : تفسيــر الآيــة .

الثانية : ما معنى (لَيَقُولَنَّ ــ هَــذَا لِــي) .

الثالثة : ما معنى قوله (أُوتِيتُهُ عَلَى عِلمٍ عِندِي) .

الرابعة : ما فى هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة .

واحسانه ، ويستعين بها على طاعته ، ولا يرى له حقا على الله ، وانما الحق كله لله ، وانه عبد محض من جميع الوجوه ، فبهذا يتحقق الايمان والتوحيد ، وبضده يتحقق كفران النعم · والعجب بالنفــس والادلال الذى هو من أعظم العيــوب .

باب قول الله تعالى

(فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) الآية .

قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله ، كعبد عمر ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك ، حاشا عبد المطلب .

وعن ابن عباس فى الآية ، قال : « لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَت فأَتَاهُمَا إبليسُ فَقَالَ : إِنِّي صَاحِبُكُمَا الذي أَخرَجكُمَا مِنَ الجَنَّةِ لَتُطِيعَانِي أَو لَأَجعَلَنَّ لَهُ قَرنَى أَيِّلٍ فَيَخرُجَ مِن بَطنِك فَيَشُقُّهُ ، وَلأَفعَلَنَّ وَلأَفعَلَنَّ ، يُخَوِّفُهُمَا ، سَمِّيَاهُ عَبدَ الحَارِثِ ، فَأَبَيَا أَن يُطِيعَاهُ فَخَرَجَ مَيتاً ، ثُمَّ حَمَلَت فَأَتَاهُمَا فَقَالَ مِثلَ قَولِهِ فَأَبَيَا أَن يُطِيعَاهُ فَخَرَجَ مَيتاً . ثُمَّ حَمَلَت فَأَتَاهُمَا فَذَكَر لَهُمَا ، فَأَدرَكَهُمَا حُبُّ الوَلَدِ ، فَسَمَّيَاهُ عَبدَ الحَارِثِ فَذَلِكَ قَولُهُ : (جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) . رواه ابن أبى حاتم .

وله بسند صحيح عن قتادة قال : شُرَكَاء فِي طَاعَتِهِ وَلَم يَكُن فِي عِبَادَتِهِ .

وله بسند صحيح عن مجاهد فى قوله : (لَئن آتَيتَنَا صَالِحاً) قال : أشفقا أن لا يكون انسانا .

وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما .

(فيه مسائل)

الاولى : تحريم كل اسم معبد لغير الله .

الثانية : تفسير الآية .

الثالثة : ان هذا الشرك فى مجرد التسمية لم تقصد حقيقتها .

(باب قول الله تعالى)

(فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا)

مقصود الترجمة أن من أنعم الله عليهم بالاولاد ، وكمل الله

الرابعة : ان هبة الله للرجل البنت السوية من النعم .

الخامسة : ذكر السلف الفرق بين الشرك فى الطاعة والشرك فى العبـــــادة .

(باب قول الله تعالى)

(وَلِلَّهِ الأَسمَاءُ الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلحِدُونَ فِـــي أَسمَائِهِ) . الآيــــة .

ذكر ابن أبى حاتم عن ابن عباس (يُلحِدُونَ فِي أَسمَائِهِ) يشركون

النعمة بهم بأن جعلهم صالحين فى ابدانهم .

وتمام ذلك ان يصلحوا فى دينهم ، فعليهم أن يشكروا الله على انعامه وان لا يعبدوا أولادهم لغير الله ، او يضيفوا النعم لغيـــر الله ، فان ذلك كفران للنعم مناف للتوحيــد .

باب قول الله تعالى

(وَلِلَّهِ الأَسمَاءُ الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلحِدُونَ فِي أَسمَائِـــــهِ)

أصل التوحيد اثبات ما اثبته الله لنفسه . أو اثبته له رسوله من الاسماء الحسنى . ومعرفة ما احتوت عليه من المعانى الجليلة . والمعارف الجميلة . والتعبد لله بها ودعاؤه بهـــا .

فكل مطلب يطلبه العبد من ربه من أمور دينه ودنياه . فليتوسل اليه باسم مناسب له من أسماء الله الحسنى . فمن دعاه لحصول رزق فليسأله باسمه الرزاق . ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحيم الرحمن البـــر الكريم العفو الغفور التواب ونحو ذلك .

وأفضل من ذلك أن يدعوه باسمائه وصفاته دعاء العبادة . وذلك باستحضار معانى الاسماء الحسنى وتحصيلها فى القلوب حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها . وتمتلىء بأجل المعارف .

وعنه : سموا اللات من الاله . والعزى من العزيز .
وعن الاعمش : يدخلون فيها ما ليس منها .

(فيـــه مسائـــل)

الاولى : اثبـــات الاسمـــاء .
الثانية : كونهـــا حسنـــى .
الثالثة : الامر بدعائه بهـــا .
الرابعة : ترك من عارض من الجاهلين الملحدين .
الخامسة : تفسير الالحاد فيها .

فمثلا أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تمـــلأ القلوب تعظيما لله واجلالا لـــه .

واسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله وشوقا له وحمدا له وشكرا .

واسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعا لله وخشوعا وانكســـارا بين يديـــه .

واسماء العلم والخبرة والاحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبة لله فى الحركات والسكنات وحراسة للخواطر عن الافكـــار الردية والارادات الفاسدة .

واسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقارا واضطرارا اليـــه ، والتفاتا اليه كل وقت ، فى كل حال .

فهذه المعارف التى تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته ، وتعبده بها لله لا يحصل العبد فى الدنيا أجل ولا افضـــل ولا اكمل منها ، وهى افضل العطايا من الله لعبده ، وهى روح التوحيد وروحـــــه .

ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخاص ، والايمان

(باب لايقال السلام على الله)

فى الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا اذا كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم . قلنا : السلام على الله مِن عباده . السلام على فلان وفلان . فقال النبى صلى الله عليه وسلم:لَا تَقُولُوا : السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ » .

(فيه مسائل)

الاولى : تفسير السلام .

الثانية : انه تحية .

الثالثة : انها لا تصلح لله .

الرابعة : العلة فى ذلك .

الكامل الذى لا يحصل الا للكمل من الموحدين .

واثبات الاسماء والصفات هو الاصل لهذا المطلب الاعلى .

وأما الالحاد فى أسماء الله وصفاته فانه ينافى هذا المقصد العظيم أعظم منافاة .

والالحاد أنواع .

اما أن ينفى الملحد معانيها كما تفعله الجهمية ومن تبعهم .

واما بتشبيهها بصفات المخلوقين كما يفعله المشبهة من الرافضة وغيرهم .

وأما بتسمية المخلوقين بها كما يفعله المشركون حيث سموا اللات من الاله ، والعزى من العزيز ، ومناة من المنان ، فاشتقوا لها من أسماء الله الحسنى ، فشبهوها بالله ثم جعلوا لها من حقوق العبادة ما هو من حقوق الله الخاصة .

فحقيقة الالحاد فى أسماء الله هو الميل بها عن مقصودها لفظا او معنى ، تصريحا ، او تأويلا ، أو تحريفا . وكل ذلك مناف للتوحيد والايمان .

الخامسة : تعليمهم التحية التى لا تصلح لله .

(باب قول : اللهم اغفر لى ان شئت)

فى الصحيح عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
لاَ يَقُل أَحَدُكُم ــ اللَّهُمَّ اغفِر لِي إن شِئتَ . اللَّهُمَّ ارحَمنِي إن شِئتَ .
لِيَعزِمَ المَسأَلَةَ . فَإِنَّ اللهَ لاَ مُكرِهَ لَـــهُ » .

ولمسلم « وَليُعَظِّم الرَّغبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيءٌ أَعطَاهُ » .

(فيـــه مسائـــل)

الاولى : النهى عن الاستثناء فى الدعـــاء .

الثانية : بيان العلة فى ذلــك .

(باب لايقال السلام على الله)

وقد بين صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بقوله « فان الله هـــو السلام » فهو تعالى السلام السالم من كل عيب ونقص ، وعن مماثلة احد من خلقه له ، وهو المسلم لعباده من الآفات والبليات ، فالعباد لن يبلغوا ضره فيضروه ، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه ، بل هم الفقراء اليه ، المحتاجون اليه فى جميع احولهم ، وهو الغنى الحميد .

(باب قول : اللهم اغفر لى ان شئت)

الامور كلها وان كانت بمشيئة الله وارادته ، فالمطالب الدينيـــة كسؤال الرحمة والمغفرة ، والمطالب الدنيوية المعينة على الديـــن كسؤال العافية والرزق وتوابع ذلك ، قد أمر العبد ان يسألها مـــن ربه طلبا ملحا جازما ، وهذا الطلب عين العبودية ومخها .

ولا يتم ذلك الا بالطلب الجازم الذى ليس فيه تعليق بالمشيئة ، لانه مأمور به ، وهو خير محض لا ضرر فيه ، والله تعالى لا يتعاظمه شـــــــىء .

الثالثة : قوله « ليعزم المسألــة » .
الرابعة : اعظــام الرغبــة .
الخامسة : التعليــل لهذا الامـــر .

باب لا يقل : عبدى وأمتى

فى الصحيح عن ابى هريرة ــ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَقُل أَحَدُكُم أَطعِم رَبَّكَ . وَضِّيء رَبَّكَ . وَليَقُل : سَيِّــدِي وَمَولَايَ . وَلَا يَقُل أَحَدُكُم : عَبــدِي وَأَمَتِي . وَليَقُل فَتَايَ وَفَتَاتِــي وَغُلَامِـــــي » .

وبهذا يظهر الفرق بين هذا وبين سؤال بعض المطالب المعينة التى لا يتحقق مصلحتها ومنفعتها ، ولا يجزم ان حصولها خيــر للعبد . فالعبد يسأل ربه ويعلقه على اختيار ربه له أصلح الامرين ، كالدعاء المأثور « اللَّهُمَّ أَحيِنِي إِذَا كَانَت الحَيَاةُ خَيراً لِي ، وَتَوَفَّنِــي إِذَا عَلِمتَ الوَفَاةَ خَيراً لِي » وكدعاء الاستخارة .

فافهم هذا الفرق اللطيف البديع بين طلب الامور النافعـــة لمعلوم نفعها وعدم ضررها ، وان الداعى يجزم بطلبها ولا يعلقهـــا ، وبين طلب الامور التى لا يدرى العبد عن عواقبها . ولا رجحان نفعها على ضررها . فالداعى يعلقها على اختيار ربه الذى احاط بكــل شىء علما وقدرة ورحمة ولطفـــا .

باب لايقل عبدى وأمتـــى

وهذا على وجه الاستحباب ان يعدل العبد عن قول عبدى وامتى الى فتاى وفتاتى . تحفظا عن اللفظ الذى فيه ايهام ومحذور ولو على وجه بعيد . وليس حراما ، وانما الادب كمال التحفظ بالالفاظ الطيبة التى لا توهم محذورا بوجه . فان الادب فى الالفاظ دليل علـــى

(فيــه مسائــل)

الاولى : النهى عن قول عبدى وامتى .

الثانية : لا يقول العبد ربى ، ولا يقال له : اطعم ربك .

الثالثة : تعليم الاول قول فتاى وفتاتى وغلامى .

الرابعة : تعليم الثانى قول : سيدى ومولاى .

الخامسة : التنبيه للمراد ، وهو تحقيق التوحيد حتى فى الالفاظ .

باب لايرد من سأل بالله

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول االله صلى الله عليه وسلم:مَن سَأَلَ بِاللّهِ فَأَعطُوهُ ، وَمَن استَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ ، وَمَن دَعَاكُم فَأَجِيبُوهُ ، وَمَن صَنَعَ إِلَيكُم مَعرُوفاً فَكَافِئُوهُ ، فَإِن لَم تَجِدُوا مَــا تُكَافِئُونَهُ فَادعُوا لَهُ حَتَّى تَروا أَنَّكُم كَافَأتُمُوهُ.رواه ابو داود والنسائــى بسنــد صحيــح .

(فيــه مسائــل)

الاولى : اعاذة من استعاذ بالله .

الثانية : اعطاء من سأل باللـــــه .

الثالثة : اجابــــة الدعــوة .

الرابعة : المكافأة علــى الصنيعــة .

الخامسة : أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر الا عليه .

السادسة : قوله حتى تروا انكم قد كافأتموه .

كمال الاخلاص خصوصا هذه الالفاظ التى هى أمس بهذا المقام .

باب لايرد من سأل بالله

باب لا يسأل بوجه الله الا الجنــة

الباب الاول خطاب للمسئول . وانه اذا ادلى على الانســان

باب لا يسأل بوجه الله الا الجنـة

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ يُسأَلُ بِوَجهِ اللَّهِ إِلاَّ الجَنَّة » رواه ابو داود .

« فيـه مسائـل »

الاولى : النهى عن ان يسأل بوجه الله الا غاية المطالب .

الثانية : اثبات صفـة الوجـه .

(باب ما جاء فى اللو)

وقول الله تعالى (يَقُولُونَ : لَو كَانَ لَنَا مِنَ الأَمرِ شَيءٌ مَا قُتِلنَا هَهُنَـا) . وقوله : (الذِينَ قَالُوا لإِخوَانِهِم وَقَعَدُوا لَو أَطَاعُونَا مَـا قُتِلُوا) . الآيـة .

أحد بحاجة وتوسل اليه بأعظم الوسائل . وهو السؤال بالله . ان يجيبه احتراما وتعظيما لحق الله . واداءا لحق اخيه حيث ادلى بهذا السبـب الاعظـم .

والباب الثانى خطاب للسائل . وان عليه ان يحترم اسماء الله وصفاته . وان لا يسأل شيئا من المطالب الدنيوية بوجه الله . بل لا يسأل بوجهه الا اهم المطالب واعظم المقاصد وهى الجنة بمـا فيها من النعيم المقيم . ورضا الرب والنظر الى وجهه الكريم والتلذذ بخطابه . فهذا المطلب الاسنى هو الذى يسأل بوجه الله .

واما المطالب الدنيوية والامور الدنيئة وان كان العبد لا يسألها الا من ربه فانه لا يسألها بوجهه .

(باب ما جاء فى اللو)

اعلم ان استعمال العبد للفظة « لـو » تقع على قسمين : مذموم ومحمـود .

فى الصحيح عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « احرَصْ عَلَى مَا يَنفَعُكَ ، وَاستَعِن بِاللَّهِ وَلَا تَعجَـزَنَّ ، وَإِن أَصَابَكَ شَيءٌ فَلَا تَقُل لَو أَنِّى فَعَلتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذا ، وَلَكِن قُل : قَــدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَل : فَإِنَّ لَوْ تَفتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ » .

« فيــه مسائــل »

الاولى : تفسيــر الآيتين فى آل عمران .

الثانية : النهى الصريح عن قول « لَوْ » اذا أصابك شــىء

الثالثة : تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان .

الرابعة : الارشاد الى الكلام الحســن .

اما المذموم فان يقع منه او عليه أمر لا يحبه فيقول : لو انــى فعلت كذا لكان كذا . فهذا من عمل الشيطان . لان فيه محذورين .

(أحدهما) انها تفتح عليه باب الندم والسخط والحزن الذى ينبغى له اغلاقه وليس فيها نفــع .

(الثانى)أن فى ذلك سوء أدب على الله وعلى قدره فان الامور كلها والحوادث دقيقها وجليلها بقضاء الله وقدره . وما وقــــع من الامور فلا بد من وقوعه . ولا يمكن رده . فكأن فى قوله : لو كان كذا أو لو فعلت كذا كان كذا . نوع اعتراض ونوع ضعف ايمان بقضاء الله وقــــدره .

ولا ريب أن هذين الامرين المحذورين لا يتم للعبد ايمان ولا توحيد الا بتركهمــا .

وأما المحمود من ذلك فان يقولها العبد تمنيا للخيــر .

كقوله صلى الله عليه وسلم : « لَو استَقبَلتُ مِن أَمرِي مَــــا استَدبَرتُ مَا سُقتُ الهَديَ وَلاَ هَلَلتُ بِالعُمرَةِ » .

وقوله فى الرجل المتمنى للخير « لو أن لى مثل مال فلان لعملت

الخامسة : الامر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله .

السادسة : النهى عن ضد ذلك . وهو العجـــز .

(باب النهى عن سب الريح)

عن ابى بن كعب رضى الله عنه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيتُم مَا تُكرَهُونَ فَقُولُوا : « اللَّهُـمَّ إِنَّا نَسأَلُكَ مِن خَيرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيرِ مَا فِيهَا . وَخَيرِ مَا أُمِرَتَ بِهِ . وَنَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتَ بِهِ » صححه الترمـــــــذى .

فيه مثل عمل فـــلان » .

و (لو صبر اخى موسى لقص الله علينا من نبأهما) أى فى قصته مع الخضـــــر .

وكما ان (لـــو) اذا قالها متمنيا للخير فهو محمود . فاذا قالها متمنيا للشر فهـــو مذمـــوم .

فاستعمال (لـــو) تكون بحسب الحال الحامل عليها .

ان حمل عليها الضجر والحزن وضعف الايمان بالقضاء والقدر او تمنى الشر كان مذمومـــــا .

وان حمل عليها الرغبة فى الخير والارشاد والتعليم كان محمودا ولهذا جعل المصنف الترجمة محتملة للامرين .

(باب النهى عن سب الريح)

وهذا نظير ما سبق فى سب الدهر ، الا ان ذلك الباب عام فى سب جميع حوادث الدهر . وهذا خاص بالريح . ومع تحريمه فانه حمق وضعف فى العقل والرأى . فان الريح مصرفة مدبرة بتدبير الله وتسخيره فالساب لها يقع سبه على من صرفها . ولولا ان المتكلم بسب الريح لا يخطر هذا المعنى فى قلبه غالبا لكان الامر افظع مـــــن

« فيــه مسائــل »

الاولى : النهى عن سب الريــح .

الثانية : الارشاد الى الكلام النافع اذا راى الانسان ما يكره .

الثالثة : الارشاد الى انها مأمـــورة .

الرابعة : انها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشـــر .

(باب قول الله تعالى)

يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ . يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الأَمرِ مِن شَيءٍ ؟ قُل : إِنَّ الأَمرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) الآيـــة .

وقوله : (الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوءِ عَلَيهِم دَائِرَةُ السَّوءِ) الآية .

قال ابن القيم فى الآيـــة الاولى :

فسر هذا بأنه سبحانه لا ينصر رسوله . وان امره سيضمحل .

وفسر بظنهم ان ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته .

ففســر بانكار الحكمة ، وانكار القدر . وانكار ان يتم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، وان يظهره على الدين كله .

وهذا هو ظن السوء . الذى ظنه المنافقون والمشركون فى سورة الفتـــــح .

وانما كان هذا ظن السماء لانه ظن غير ما يليق به سبحانه . وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق .

ذلك ، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلـــم .

(باب قول الله تعالى)

(يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ)

وذلك انه لا يتم للعبد ايمان ولا توحيد حتى يعتقد جميـــع ما أخبر الله به من اسمائه ، وصفاته ، وكماله . وتصديقه بكل ما أخبر الله به من اسمائه وصفاته وكماله . وتصديقه بكل ما أخبر به ، وانه

فمن ظن انه يديل الباطل على الحق ادالة مستقرة يضمحل معها الحق .

او انكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره .

او انكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة فذلك ظن الذين كفروا .

فويل للذين كفروا من النار .

واكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك الا من عرف الله ، واسماءه ، وصفاته ، وموجب حكمته وحمده .

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا ، وليتب الى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء .

ولو فتشت من فتشت لرايت عنده تعنتا على القدر وملامة له . وانه كان ينبغى أن يكون كذا وكذا ، فمستقل ومستكثر ، وفتش نفسك هل انت سالم ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنهَا تَنْجُ مِن ذِي عَظِيمَةٍ ... وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيا

((فيه مسائل))

الاولى : تفسير آية آل عمران .

الثانية : تفسير آية الفتح .

الثالثة : الاخبار بأن ذلك انواع لا تحصر .

الرابعة : انه لا يسلم من ذلك الا من عرف الاسماء والصفات وعرف نفسه .

يفعله ، وما وعد به من نصر الدين · واحقاق الحق ، وابطال الباطل ، فاعتقاد هذا من الايمان وطمأنينة القلب بذلك من الايمان وكل ظن ينافى ذلك فانه من ظنون الجاهلية المنافية للتوحيد

باب ما جاء فى منكرى القدر

وقال ابن عمر : والذى نفس ابن عمر بيده ، لو كان لاحدهم مثل احد ذهبا ، ثم انفقه فى سبيل الله ما قبله الله منه ، حتى يؤمن بالقدر ، ثم استدل بقول النبى صلى الله عليه وسلم : الإِيمَانُ أَن تُؤمِنَ بِاللّهِ وَمَلَائكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوم الآخِرِ ، وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ. رواه مسلم .

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يا بنى انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم إن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما اخطاك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللّهُ القَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكتُب ، فَقَالَ : رَبِّ وَمَاذَا أَكتُبُ ؟ قَالَ : اكتُب مَقَادِيرَ كُلِّ شَيءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ .

يا بنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَن مَاتَ عَلَى غَيرِ هَذَا فَلَيسَ مِنِّي » .

وفى رواية لاحمد : « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى القَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكتُب فَجَرَى فِي تِلكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائنٌ إِلَى يَوم القِيَامَةِ » .

وفى رواية لابن وهب ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فَمَن لَم يُؤمِن بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ أَحرَقَهُ اللّهُ بِالنَّارِ) .

وفى المسند والسنن عن ابن الديلمى . قال : (اتيت أبى ابن

لانها سوء ظن بالله ، ونفى لكماله وتكذيب لخبره ، وشك فى وعده ، والله اعلم .

(باب ما جاء فى منكرى القدر)

قد ثبت بالكتاب والسنة واجماع الامة : ان الايمان بالقدر احد أركان الايمان ، وانه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فمن لم يؤمن بهذا فانه ما آمن بالله حقيقة .

كعب فقلت له فى نفسى شىء من القدر : فحدثنى بشىء ، لعل الله يذهبه من قلبى فقال : لو انفقت مثل احد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما اخطاك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لكنت من اهل النار ، قال : فأتيت عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت ، فكلهم حدثنى بمثل ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم · حديث صحيح رواه الحاكم فى صحيحه .

(فيه مسائل)

الاولى : بيان فرض الايمان بالقدر .

الثانية : بيان كيفية الايمان به .

الثالثة : احباط عمل من لم يؤمن به .

الرابعة : الاخبار بأن احدا لا يجد طعم الايمان حتى يؤمن به

الخامسة : ذكر اول ما خلق الله .

السادسة : انه جرى بالمقادير فى تلك الساعة الى قيام الساعة .

السابعة : براءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به ·

الثامنة : عادة السلف فى ازالة الشبهة بسؤال العلماء .

التاسعة : ان العلماء اجابوه بما يزيل شبهته ، وذلك انهم نسبوا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط .

فعلينا ان نؤمن بجميع مراتب القدر : فنؤمن ان الله بكل شىء عليم ، وانه كتب فى اللوح المحفوظ جميع ما كان وما يكون الى يوم القيامة وان الامور كلها بخلقه وقدرته وتدبيره .

ومن تمام الايمان بالقدر : العلم بان الله لم يجبر العباد على خلاف ما يريدون بل جعلهم مختارين لطاعتهم ومعاصيهم .

(باب ما جاء فى المصوريــن)

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَمَن أَظلَمُ مِمَّن ذَهَبَ يَخلُقُ كَخَلقِي فَليَخلُقُوا ذَرَّةً . أَو لِيَخلُقُوا حَبَّةً أَو لِيَخلُقُوا شَعِيرَةً » . اخرجـاه .

ولهما عن عائشة رضى الله عنها ـ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَومَ القِيَامَةِ الذينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلقِ اللَّـــهِ » .

ولهما عن ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّـــمَ » .

ولهما عنه مرفوعا ـ مَن صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنيَا كُلِّفَ أَن يَنفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيسَ بِنَافِــخٍ) .

ولمسلم عن أبى الهياج : قال : « قال لي عَلِيٌّ : الا ابعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ان لا تدع صورة الا طمستها ، ولا قبرا مشرفا الا سويته .

« فيــه مسائــل »

الاولى : التغليظ الشديد فى المصورين .

الثانية : التنبيه على العلة وهو ترك الادب مع الله ، لقوله : « ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقــى » .

الثالثة : التنبيه على قدرته وعجزهم ، لقوله : « فليخلقوا ذرة أو شعيـــــرة .

باب ما جاء فى المصوريــن

وهذا من فروع الباب السابق انه لا يحل ان يجعل لله ندا فى النيات ، والاقوال ، والافعال . والند المشابه ولو بوجه بعيد ،

الرابعة : التصريح بأنهم أشد الناس عذابا .

الخامسة : ان الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها المصور فى جهنـــــم .

السادسة : انه يكلف ان ينفخ فيها الـــروح .

السابعة : الامر بطمسها اذا وجدت .

باب ما جاء فى كثرة الحلف

وقول الله تعالى : (وَاحفَظُوا أَيمَانَكُم) .

عن أبى هريرة رضـــى الله عنه : قال، سَمِعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الحَلفُ مَنفَقَةٌ لِلسِّلعَةِ مَمحَقَــةٌ لِلكَسبِ » اخرجـــــاه .

وعن سلمان : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال : « ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُم اللَّهُ وَلاَ يُزَكِّيهِم وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ : أُشَيمِطٌ زَانٍ ، وَعَائِلٌ مُستَكبِرٌ ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهَ بِضَاعَتَهُ لاَ يَشتَرِي إِلاَّ بِيَمِينِهِ ، وَلاَ يَبِيعُ إِلاَّ بِيَمِينِهِ » رواه الطبرانى بسند صحيح .

وفى الصحيح عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَيرُ أُمَّتِي قَرنِي ، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُم ، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُم { قَالَ عِمرَانُ فَلاَ أَدرِي أَذَكَرَ بَعدَ قَرنِهِ مَرَّتَينِ أَو ثَلاَثاً } ثُمَّ إِنَّ بَعدَكُم قَومٌ يَشهَدُونَ وَلاَ يُستَشهَدُونَ ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤتَمَنُونَ ، وَيَنذُرُونَ وَلاَ يُوفُونَ ، وَيَظهَرُ فِيهِم السِّمَــنُ » .

فاتخاذ الصور الحيوانية تشبه بخلق الله ، وكذب على الخلقة الالهية ، وتمويه وتزوير ، فلذلك زجر الشارع عنه .

باب ما جاء فى كثرة الحلف

أصل اليمين انما شرعت تأكيدا للامر المحلوف عليه ، وتعظيما للخالق ، ولهذا وجب أن لا يحلف الا بالله ، وكان الحلف بغيره مـــن الشــــــرك .

وفيه عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خَيرُ النَّاسِ قَرنِي ، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُم ، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُم ، ثُمَّ يَجِيءُ قَومٌ تَسبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِم يَمِينَهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ » .

وقال ابراهيم : كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار .

« فيه مسائل »

الاولى : الوصية بحفظ الايمان .

الثانية : الاخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للبركة .

الثالثة : الوعيد الشديد فيمن لا يبيع الا بيمينه ولا يشترى الا بيمينه .

الرابعة : التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعى .

الخامسة : ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون .

السادسة : ثناؤه صلى الله عليه وسلم على القرون الثلاثة أو الاربعة . وذكر ما يحدث بعدهم .

السابعة : ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون .

الثامنة : كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد .

باب ما جاء فى ذمة الله وذمة نبيه

وقوله تعالى : (وَأَوفُوا بِعَهدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُم وَلَا تَنقُضُوا الأَيمَانَ

ومن تمام هذا التعظيم أن لا يحلف بالله الا صادقا .

ومن تمام هذا التعظيم ان يحترم اسمه العظيم عن كثرة الحلف فالكذب وكثرة الحلف تنافى التعظيم الذى هو روح التوحيد .

باب ما جاء فى ذمة الله وذمة نبيه

المقصود من هذه الترجمة البعد والحذر من التعرض للاحوال

بَعدَ تَوكِيدِهَـــا) . الآيـــة .

عن بريدة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله . ومن معه من المسلمين خيــرا .

فقال : اغزُوا بِاسمِ اللهِ ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ . قَاتِلُوا مَن كَفَرَ بِاللَّهِ ، اغزُوا ، وَلَا تَغلُوا ، وَلَا تَغدِرُوا ، وَلَا تُمَثِّلُوا ، وَلَا تَقتُلُوا وَلِيداً . وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المُشرِكِينَ فَادعُهُم إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ ـــ أَو خِلَالٍ ـــ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقبَل مِنهُم وَكُفَّ عَنهُم . ثُمَّ ادعُهُم إِلَى الإِسلَامِ فَإِن أَجَابُوكَ فَاقبَل مِنهُم . ثُمَّ ادعُهُم إِلَى التَّحَوُّلِ مِن دَارِهِم إِلَى دَارِ المُهَاجِرِينَ وَأَخبِرهُم أَنَّهُم إِن فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُم مَا لِلمُهَاجِرِينَ وَعَلَيهِم مَـــا عَلَى المُهَاجِرِينَ . فَإِن أَبَوا أَن يَتَحَوَّلُوا مِنهَا فَأَخبِرهُم أَنَّهُم يَكُونُـــونَ كَأَعرَابِ المُسلِمِينَ يَجرِي عَلَيهِم حُكمُ اللهِ تَعَالَى . وَلَا يَكُونُ لَهُم فِي الغَنِيمَةِ وَالفَيءِ شَيءٌ ، إِلَّا أَن يُجَاهِدُوا مَعَ المُسلِمِين . فَإِن هُم أَبَوا فَاسأَلهُمُ الجِزيَةَ . فَإِن هُم أَجَابُوكَ فَاقبَل مِنهُم . وَكُفَّ عَنهُم . فَإِن هُم أَبَوا فَاستَعِن بِاللهِ وَقَاتِلهُـــــم .

وَإِذَا حَاصَرتَ أَهلَ حِصنٍ فَأَرَادُوكَ أَن تَجعَلَ لَهُم ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجعَل لَهُم ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ . وَلَكِن اجعَل لَهُم ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصحَابِكَ ، فَإِنَّكُم أَن تَخفِرُوا ذِمَمَكُم وَذِمَّةَ أَصحَابِكُم أَهوَنُ مِن أَن تَخفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، وَإِذَا حَاصَرتَ أَهلَ حِصنٍ فَأَرَادُوكَ أَن تُنزِلَهُم عَلَى حُكمِ اللهِ . فَلَا تُنزِلهُم عَلَى حُكمِ اللَّهِ وَلَكِن أَنزِلهُم عَلَى حُكمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدرِي أَتُصِيبُ فِيهِم حُكمَ اللَّهِ أَم لَا » . رواه مسلم .

التى يخشى منها نقض العهود والاخلال بها بعدما يجعل للاعداء المعاهدين ذمة الله وذمة رسوله . فانه متى وقع النقض فى هـــذه الحال كان انتهاكا من المسلمين لذمة الله وذمة نبيه ، وتركا لتعظيم الله ، وارتكابا لاكبر المفسدتين كما نبه عليه صلى الله عليه وسلم .

« فيـــه مسائـــل »

الاولى : الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين .

الثانية : الارشـاد الى اقل الامرين خطـــرا .

الثالثة : قوله : « اغزوا بسم الله فى سبيل الله .

الرابعة : قوله : « قاتلوا من كفر بالله » .

الخامسة : قوله : « استعن بالله وقاتلهم » .

السادسة : الفرق بين حكم الله وحكم العلماء .

السابعة : فى كون الصحابى يحكم عند الحاجة بحكم لا يدرى ايوافق حكم الله أم لا . ؟

باب ماجاء فى الاقسام على الله

عن جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال : **قال رسول الله** صلى الله عليه وسلم : « **قَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ لَا يَغفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَن ذَا الذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَن لَا أَغفِرَ لِفُلَانٍ ؟ إِنِّي قَــد غَفَرتُ لَهُ وَأَحبَطتُ عَمَلَكَ** » . رواه مسلم .

وفى حديث ابى هريرة : ان القائل رجل عابد : **قال ابو هريرة** تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته » .

وفى ذلك ايضا تهوين للدين والاسلام وتزهيد للكفار به ، فان الوفاء بالعهود خصوصا المؤكدة بأغلظ المواثيق من محاسن الاسلام الداعية للاعداء المنصفين الى تفضيله واتباعه .

باب الاقسام على الله
وباب لا يستشفع بالله على خلقه

وهذان الامران من سوء الادب فى حق الله ، وهو مناف للتوحيد

« فيــه مسائــل »

الاولى : التحذير من التالى على الله ؟

الثانية : كون النار اقرب الى احدنا من شراك نعله .

الثالثة : ان الجنة مثل ذلك .

الرابعة : فيه شاهد لقوله : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ » الــى آخــــــــــره .

الخامسة : ان الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الامور اليه

باب لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال (جاء اعرابى الــى النبى صلــى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ، نهكت الانفس وجاع العيال . وهلكت الاموال . فاستسق لنا ربك ، فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله . فقال النبى صلى الله عليه وسلم: سُبحَانَ اللَّهِ ! سُبحَانَ اللَّهِ ! فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه . ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم: وَيحَكَ : أَتدرِى مَا اللَّهُ ؟ إِنَّ شَأنَ اللَّهِ أَعظَمُ مِن ذَلِكَ . إِنَّهُ لاَ يُستَشفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِن خَلقِهِ) وذكر الحديث رواه أبو داود .

« فيــه مسائــل »

الاولى : الانكار على من قال : « نَستَشفِعُ بِاللَّهِ عَلَيكَ » .

الثانية : تغيره تغيراً عرف فى وجوه أصحابه من هذه الكلمـــة .

اما الاقسام على الله فهو فى الغالب من باب العجب بالنفس والادلال على الله ، وسوء الادب معه ، ولا يتم الايمان حتى يسلــم من ذلك كلـــه .

وأما الاستشفاع بالله على خلقه فهو تعالى أعظم شأنا من أن

الثالثة : انه لم ينكر عليه قوله : « نَستَشفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ » .

الرابعة : التنبيه على تفسير « سبحان الله » .

الخامسة : ان المسلمين يسألونه الاستسقاء .

باب ما جاء فى حماية النبى (ص)

حمى التوحيد ، وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه قال : (انطلقت فى وفد بنى عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلنا : انت سيدنا ، فقال : السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، قلنا وافضلنا فضلا ، واعظمنا طولا ، فقال : قُولُوا بِقَولِكُمْ ، أَوْ بَعضِ قَولِكُمْ ، وَلاَ يَستَجرِيَنَّكُمُ الشَّيطَانُ) . رواه ابو داود بسند جيد .

وعن انس رضى الله عنه : ان ناسا قالوا : يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . فقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَولِكُمْ وَلاَ يَستَهوِيَنَّكُم الشَّيطَانُ ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . مَا أُحِبُّ أَن تَرفَعُونِي فَوقَ مَنزِلَتِي التي أَنزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ) . رواه النسائى بسند جيد .

يتوسل به الى خلقه ، لان رتبة المتوسل به غالبا دون رتبة المتوسل اليه ، وذلك من سوء الادب مع الله ، فيتعين تركه ، فان الشفعاء لا يشفعون عنده الا باذنه ، وكلهم يخافونه فكيف يعكس الامر فيجعل هو الشافع ، وهو الكبير العظيم الذى خضعت له الرقاب وذلت له الكائنات بأسرها .

باب ما جاء فى حماية المصطفى حمى التوحيد وسده طرق الشرك

تقدم نظير هذه الترجمة واعادها المصنف اهتماما بالمقام فان

« فيــه مسائــل »

الاولى : تحذير الناس من الغلـــو

الثانية : ما ينبغى ان يقول من قيل له « أَنتَ سَيِّدُنَا » .

الثالثة : قوله « لاَ يَستَجرِيَنَّكُم الشَّيطَانُ » مع انهم لم يقولوا الا الحــــــق .

الرابعة : قوله : « مَا أُحِبُّ أَن تَرفَعُونِي فَوقَ مَنزِلَتِي » .

باب ما جاء قول الله تعالى

(وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدرِهِ وَالأَرضَ جَمِيعاً قبضته يَومَ القِيَامَةِ) الآية . عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : (جَاءَ حَبرٌ مِنَ الأَحبَارِ إِلىَ

التوحيد لا يتم ولا يحفظ ويحصن الا باجتناب جميع الطرق المفضية الـى الشرك والفرق بين البابين ان الاولـى فيه حماية التوحيـد بسد الطرق الفعلية ، وهذا الباب فيه حمايته وسده بالتأدب والتحفظ بالاقـــوال .

فكل قول يفضى الى الغلو الذى يخشى منه الوقوع فى الشرك فانه يتعين اجتنابه ولا يتم التوحيد الا بتركه .

والحاصل ان تمام التوحيد بالقيام بشروطه ، واركانه ، ومكملاته ومحققاته ، وباجتناب نواقضه ومنقصاته ظاهرا وباطنا ، قـــولا وفعلا وارادة واعتقـــادا .

وقد مضى من التفاصيل ما يوضح ذلـــك .

باب قول الله تعالى

(وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدرِهِ)

ختم المصنف رحمه الله تعالى كتابه بهذه الترجمة .

وذكر النصوص الدالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه ،

رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يا محمد انا نجد ان الله يجعل السموات على اصبع . والارضين على اصبع . والشجر على اصبع . والماء على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع . فيقول انا الملك ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه : تصديقا لقول الحبر — ثم قرأ : رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القايمة) الايـــــة » .

وفى رواية لمسلم : « والجبال والشجر على اصبع — ثم يهزهن فيقول : انا الملك انا الله » .

وفى رواية للبخارى : (ويجعل السموات على اصبع — والماء والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع) اخرجاه .

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا : (يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى . ثم يقول : انا الملك — اين الجبارون اين المتكبرون ؟ ثم يطوى الارضين السبع — ثم يأخذهن بشماله — ثم يقول — انا الملك ، اين الجبارون ؟ اين المتكبرون ؟)

وروى عن ابن عباس قال : ما السموات السبع والارضون السبع فى كف الرحمن الا كخردلة فى يد أحدكم .

وقال ابن جرير : حدثنى يونس أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد حدثنى أبى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مـــا السموات السبع فى الكرسى الا كدراهم سبعة القيت فى ترس » قال : وقال أبو ذر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول : (ما الكرسى فى العرش الا كحلقة من حديد القيت بين ظهرى فلاة من الارض) .

وعن ابن مسعود قال : بين السماء الدنيا والتى تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام — وبين السماء السابعة والكرسى خمسمائة عام — وبين الكرسى والماء خمسمائة عام —

ومجده وجلاله وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه ، لان هذه النعوت العظيمة والاوصاف الكاملة اكبر الادلة والبراهين على انه المعبـــود وحده . المحمود وحده الذى يجب ان يبذل له غاية الذل والتعظيـم

والعرش فوق الماء ــ والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من اعمالكم) أخرجه ابن مهدى عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله ورواه بنحوه المسعودى عن عاصم عن ابى وائل عن عبد الله قاله الحافظ الذهبى رحمه الله تعالى قال : وله طرق .

وعن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هل تدرون كم بين السماء والارض ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ؟ قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة . ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة . وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة . وبين السماء السابعة والعرش بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض والله سبحانه وتعالى فوق ذلك ، وليس يخفى عليه شيء من اعمال بنى آدم) أخرجه ابو داود وغيره .

« فيـــه مسائـــل »

الاولى : تفسير قوله (والارض جميعا قبضته) .

الثانية : ان هذه العلوم وامثالها باقية عند اليهود الذين فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولم ينكروها ولم يتأولوها .

الثالثة : أن الحبر لما ذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم صدقه . ونزل القرآن بتقرير ذلـــك .

الرابعة : وقوع الضحك منه صلى الله عليه وسلم لما ذكر الحبر هذا العلم العظيـــم .

الخامسة : التصريح بذكر اليدين . وان السموات فى اليد اليمنى . والارضين فى اليد الاخرى .

السادسة : التصريح بتسميتها الشمال .

السابعة : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك .

الثامنة : قوله « كخردلة فى كف أحدكم » .

التاسعة : عظم الكرسى بالنسبة الى السموات .

العاشرة : عظمة العرش بالنسبة للكرســـى .

وغاية الحب والتاله . وانه الحق وما سواه باطل ، وهذه حقيقـــة

الحادية عشرة : ان العرش غير الكرسي ، والماء .

الثانية عشرة : كم بين كل سماء الى سماء .

الثالثة عشرة : كم بين السماء السابعة والكرسي .

الرابعة عشرة : كم بين الكرسي والمـــاء .

الخامسة عشرة : ان العرش فوق الماء .

السادسة عشرة : ان الله فوق العرش .

السابعة عشرة : كم بين السماء والارض .

الثامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة .

التاسعة عشرة : ان البحر الذى فوق السماوات بين اعـــلاه واسفله مسيرة خمسمائة سنة والله سبحانه وتعالى أعلم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبـــه أجمعـــــين .

التوحيد ولبه وروحه . وسر الاخلاص .

فنســأل الله ان يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والانابة اليـــه انه جواد كريـــم .

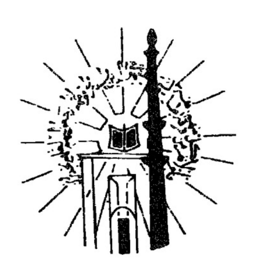
وهذا آخر التعليق المختصر على كتاب التوحيد وتوضيح مقاصده. وقد حوى من غرر مسائل التوحيد . ومن التقاسيم والتفصيلات النافعة ما لا يستغنى عنه الراغبون فى هذا الفن الذى هو اصـــل الاصول وبه تقوم العلوم كلهـــا .

والحمد لله على تيسيره ومنتـــــه .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

فهرس لكتاب التوحيد ـ والقول السديد

رقم إيداع ٣٤٩٩ / ٨٠



من مطبوعات الجامعة الإســلامية

بالمدينــة المنورة